Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 8 | Page 372 – 410 |2025 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Lexical Collocation within the Genitive Construction (Mudaf and Mudaf Ilayh) in Selected Pre-Islamic Poetry: A Syntactic and Semantic Analysis

Aziz Ali Mohammed Al-Khoulan[1*]
[1]Department of Arabic Language - Faculty of Languages - Sana'a University, Sana'a, Yemen.
***Corresponding author:** *zyzalkhwlany24@gmail.com*

Keywords

1. Lexical collocation
2. genitive construction (Mudaf and Mudaf Ilayh)
3. linguistic cohesion
4. Pre-Islamic poetry
5. syntactic-semantic relationships

Abstract:

This study examines lexical collocation within the genitive construction (Mudaf and Mudaf Ilayh) in selected Pre-Islamic poetry, aiming to elucidate the linguistic patterns and semantic relationships underlying this phenomenon. The research highlights the syntactic and semantic dimensions of common lexical collocations, providing a systematic analysis of their structural and functional roles. The study is confined to frequently occurring and well-established collocations within genitive constructions. (Mudaf and Mudaf Ilayh) excluding other syntactic frameworks.

The findings of this study reveal the following key insights:

1. Lexical collocation functions as a distinctive linguistic feature of Pre-Islamic poetry, facilitating predictable and conventional word associations. While classical linguists did not explicitly categorize this phenomenon, contemporary linguistic theories have recognized its significance under various terminologies.
2. The relationship between the genitive construction components (Mudaf and Mudaf Ilayh) is profoundly cohesive, warranting their interpretation as a unified semantic entity.
3. The diverse associative patterns observed among collocated words within poetic verses enhance textual cohesion and interconnectedness.
4. Collocation serves as an integral mechanism of linguistic cohesion, contributing to the structural integrity and semantic coherence of poetic compositions.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 8 | Page 373 – 410 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

التوارد اللفظي بين المضاف والمضاف إليه في نماذج من الشعر الجاهلي
دراسة تركيبية دلالية

عزيز علي محمد الخولاني [1] *

[1]قسم اللغة العربية ، كلية اللغات - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

***المؤلف:** zyzalkhwlany24@gmail.com

الكلمات المفتاحية

1. التوارد اللفظي
2. المضاف والمضاف إليه
3. الارتباط والتماسك
4. الشعر الجاهلي
5. المحوري والمتوارد

الملخص:

تهدف دراسة التوارد اللفظي بين المضاف والمضاف إليه إلى كشف الغموض الذي يكتنف هذا التوارد، وحصر التوارد اللفظي بنماذج من الشعر الجاهلي، ورصد ما بها من ظواهر تركيبية ودلالية، وقد اقتصر هذا البحث على المتواردات المشهورة والشائعة في الشعر الجاهلي، في المركب الإضافي بين المضاف والمضاف إليه، دون غيره من التراكيب الأخرى، وتحددت الدراسة في المستويين النحوي والدلالي.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث الآتي:

1.التوارد اللفظي يعد مرآة عاكسة للشعر الجاهلي على لسان شعرائه، وهو ورود متوقع ومعتاد للكلمة مع ما يناسبها من الكلمات الأخرى، فهو من الدراسات اللسانية الحديثة التي لم يتنبه لها اللغويون القدماء، وإن تناولوه فبمسميات أخرى.

2.أن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه قوية جدًا؛ لذلك جعلوهما كالشيء الواحد، بوصفهما وحدة دلالية واحدة.

3.تنوعت العلاقات الرابطة بين الألفاظ المتواردة على مستوى البيت الشعري فأسهمت في ارتباطها وتماسكها.

4.يعد التوارد نوعًا من أنواع التضام الذي له دور فاعل في اتساق الألفاظ المتواردة واقترانها بعضها ببعض.

المقدمة:

هُنَاكَ كلماتٌ تتوارد مع كلمات أخرى وتتقيد بها؛ إذ تتوطد العلاقة بين تلك الكلمات المتواردة؛ لأن أحد اللفظين في التركيب مُقيد للآخرَ، فالمضاف إليه هو الذي يُقيِّد المضاف في التركيب الإضافي، وفي هذا التركيب الإضافي يكون التوارد بين لفظين، يكون ثانيهما بمنزلة التنوين من الأول، أو ما يقوم مقامه، ومن ثم يتكون من خلال التركيب الإضافي وحدةً دلالية يطلق عليها في علم الدلالة التوارد اللفظي، ويتكون هذا التركيب من كلمتين تمثل إحداهما اللفظ المحوري (الأساسي)، والأخرى تمثل اللفظ المتوارد الذي يوضح المعنى، فيُكوّن اللفظ المحوري مع ما يتوارد معه دلالة جديدة لم تكن موجودةً قبل ارتباطهما معًا، وهي على أنواع، منها التوارد بين المضاف والمضاف إليه، ويعد هذا التوارد بين اللفظين المتضايفين المضاف والمضاف إليه من أهم صور التوارد بين الألفاظ؛ إذ إنَّ العلاقة بينهما هي علاقة تلازمية – بمعنى أن كل لفظ ملازم للآخر– لأن المضاف والمضاف إليه يكمل كل واحد منهما الآخر، مما يجعلهما بمنزلة الشيء الواحد؛ الأمر الذي يدل على وجود علاقات نحوية ودلالية تسهم في الجمع بين الألفاظ، وتسوغ في توارِدها.

ويعالج هذا البحث مصطلح التوارد اللفظي بين المضاف والمضاف إليه في نماذج من الشعر الجاهلي؛ إذ يعد مصطلح التوارد من المصطلحات الحديثة التي ظهرت على لسان تمام حسان في بحثه الموسوم (التضام وقيود التوارد) المنشور عام 1976م، ويقصد تمام حسان بالتوارد أنه: صلاحيةُ لفظ ما أن يرد في صحبة لفظ آخر لمناسبة بينهما في المعنى، ويرى بعض اللغويين أنه: الألفاظ التي يكثر ورود بعضها مع بعضها الآخر، فإذا ورد اللفظ الأول ورد الثاني معه، أو كان هناك حظٌ كبير أن يرد معه فيستدعي هذا اللفظُ ذاك دون غيره من الألفاظ، عندها يسمى هذا النوعُ من التوارد بالتوارد (المنتظم)، وقد يستدعي اللفظ المحوري لفظًا آخر من الألفاظ المتواردة معه، فيسمى عندها بالتوارد (الحر) الذي يقبل التبادل والاستبدال بين ألفاظه المتواردة، ويتكون هذا التوارد باعتبار درجةَ التوقعِ المتبادل بين اللفظين المتواردين من توارد متوقع يتحقق عندما يستدعي كل لفظ منهما الآخر، إن ذهن المتلقي لا ينصرف إلا إليه، وهو أمر مرتبط بنوع التوارد اللفظي المنتظمِ والحرِ، وقد يكون من التوارد غير المتوقع، فيسمى التوارد عندئذ بالتوارد المتوقع أو غير المتوقع، بينما نشير إلى نوع آخر من أنواع التوارد، وهو التوارد المستمر الذي ما يزال مستعملًا إلى عصرنا الحاضر، والآخرُ هو التوارد المنقطع الذي انقطع استعماله في عصرنا الحاضر، وصار مرتبطًا بمدة تاريخية معينة، وقد يخرج التوارد من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي عندما يعمد الشاعر على إدراج كلمة غير متوقعة مع الكلمة المحورية، مما يؤدي إلى إنتاج تعبير مجازي يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بـ (الكسر الدلالي)، هذا وقد ارتبطت ظاهرة التوارد بمجموعة من العلاقات النحوية والدلالية التي تمثل المعيار الأساسي في الارتباط والربط بين الألفاظ، فتسهم بشكل مباشر في الكشف عن معاني تلك الألفاظ، وتعمل على تحديد المعنى الدلالي، وتوضح المعنى المقصود، بينما تسهم هذه العلاقاتُ في تلاؤم الألفاظ بعضها البعض، ومن ثم حققت هذه العلاقات الاتساقَ والانسجامَ الدلالي بين الألفاظ المتواردة،

وفيما يأتي نسوق بعض المتواردات اللفظية في نماذج من الشعري الجاهلي، ودلالتها النحوية والمعجمية، والدلالة الجديدة التي تنشئ من التوارد بينها، ونذكر نوع التوارد، ودرجةَ توقعِه، واستمراريتِه وانقطاعه، ونستشهد لذلك بشواهد من الشعر الجاهلي الذي تضمن الألفاظ المتواردة التي اشتهرت وشاعت في العصر الجاهلي، التي بدورها ربطت وواءمت بين اللفظ المحوري والمتوارد على المستويين النحوي والدلالي.

مشكلة البحث وأسئلته:

هناك الكثير من الدارسين لم يتطرقوا لقضية التوارد اللفظي؛ لأنها من الدراسات اللغوية الحديثة التي لم تدرس بكثرة حتى يتعرفوا عليها، بل إن قضية التوارد اللفظي لا تزال من القضايا الغامضة التي تستوجب منا البحث والتنقيب عنها، والبحث عن حلول مناسبة لتلافي هذه المشكلة، ومن ثم لابد من الاهتمام بها من قبل الدارسين، وقد قُدمَ هذا البحث ليكون جزءًا من حل هذه المشكلة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما المقصود بالتوارد اللفظي؟
2- ما العلاقة التي سوغت في توارد الألفاظ؟
3- هل للمتواردات اللفظية دور في اتساق الألفاظ وتماسكها بعضها بعض؟
4- ما اللفظ المحوري والمتوارد؟
5- هل للبيئة دور في تشكيل المتواردات اللفظية؟

أهداف البحث:

تهدف دراسة التوارد اللفظي بين المضاف والمضاف إليه إلى كشف الغموض الذي يكتنف هذا التوارد، وحصر التوارد اللفظي بنماذج من الشعر الجاهلي، ورصد ما بها من ظواهر تركيبية ودلالية، ونحصر أهداف البحث في النقاط الآتية:

1- توضيح معنى التوارد اللفظي.
2- الكشف عن العلاقات الجامعة بين الألفاظ ومسوغات تواردها.
3- الكشف عن دور المتواردات في اتساق الألفاظ وتماسكها.
4- بيان معنى اللفظ المحوري واللفظ المتوارد.
5- توضيح دور البيئة في تشكيل قطاعات كبيرة من المتواردات اللفظية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أنها تتناول موضوعًا جديدًا لم تتطرق له الكثير من الدراسات، باستثناء أربع دراسات كانت على صلة جزئية بالموضوع قيد البحث، وتنبع هذه الأهمية من أنها الدراسة الوحيدة التي تناولت التوارد اللفظي على المستويين التركيبي والدلالي مقارنة بالدراسات الأخرى التي تناولته من جانب واحد، بالإضافة إلى أن هذهِ الدراسةِ قد استهدفت المتواردات المشهورة والشائعة في الشعر الجاهلي.

حدود البحث ومحدداته:

اقتصر البحث على المتواردات المشهورة والشائعة في الشعر الجاهلي، في المركب الإضافي بين المضاف والمضاف إليه، دون غيره من التراكيب الأخرى، بينما تحددت الدراسة في المستويين النحوي والدلالي.

الدراسات السابقة:

انحصرت الدراسات السابقة التي تحدثت عن التوارد اللفظي في أربع دراسات، الأولى: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: إبراهيم اليازجي، وكان ذلك عام 1904م، وكانت الطبعة الأولى في بيروت،

وهو عبارة عن جزأين، والثانية: التوارد والاقتران بين المفردات دراسة أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي في شعر المتنبي: فيصل محمد حسن العسيري، وهو بحث نشرته مجلة كلية الدراسات الإسلامية في عددها السادس والثلاثين، والثالثة: قوائم التوارد الاصطلاحي الصوفي دراسة معجمية دلالية تركيبية: هدى حسن حسين عبد السلام، التي نشرته مجلة حولية كلية الآداب جامعة بني سويف، المجلد الثامن، لعام 2019م، والدراسة الرابعة: التوارد المعجمي للفعل الماضي في الفصحى المعاصرة: ربيع عبد السلام خلف، الذي نشرته مجلة العلوم الإنسانية، في العدد 31، لعام2018.

هيكلة البحث:

وتشمل ما يأتي:

التمهيد: طبيعة التوارد اللفظي، ومكونات الإضافة.

المبحث الأول: التوارد اللفظي بين اللفظين

المبحث الثاني: التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب).

المبحث الثالث: التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (يوم كريهة).

المبحث الرابع: التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (ندامة الكسعي).

المبحث الخامس: التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (حتف أنفه).

التمهيد

طبيعة التوارد اللفظي، ومكونات الإضافة

أولًا: التوارد لغةً واصطلاحًا:

التوارد لغة:

يرجع مصطلح التوارد إلى المادة اللغوية المكونة من (و ر د) التي تدل على الاقتران والمصاحبة والمرافقة بين شيئين، أو بين عدة أشياء، ونقصد بالشيئين، أي: بلفظين، أو بين عدة أشياء، أي: بين أكثر من لفظين، وقد أشار مؤلفو المعاجم اللغوية إلى هذا المصطلح الذي تتكون مادته الأصلية من (و رد)، يقول ابن منظور:" ورد فلان ورودًا، حضر، ووردتُ الماءَ أردهُ ورودًا؛ إذا حضرتَهُ لتشربَهُ، وأوردَ عليه الخبرَ، قصه، وتورددتِ الخيلُ البلدة؛ إذا دخلتها قليلًا قليلًا، قطعة قطعة"[1]، وفي تاج العروس يقول الجوهري:" واردهُ: وردَ معهُ، وتواردَهُ مواردةً، وأنشد : ومت مني هللًا إنما موتُك...لو واردت وارديه[2].

وجاء في معجم الرائد ما نصه: " توارد القومُ إلى المكان: حضروا إليه الواحد بعد الآخر"[3]، وجاء فيه:" توارد الشاعران: اتفقا في معنى واحد يرد بلفظ واحد من غير أن ينقل أحدهما عن الآخر"[4]، وجاء في معجم الغني ما نصه:" توارُدُ الأفكارِ اتفاقُهَا من غيرِ نقلٍ ولا سماعٍ"[5].

التوارد اصطلاحًا:

جرت الإشارة إلى مصطلح (التوارد) عند تمام حسان، عندما جعله نوعًا من التضام، ومظهرًا من مظاهره، والمقصود بالتوارد عنده هو: " أن يصلحَ لفظٌ ما أن

(1) لسان العرب: مادة (ورد)، ابن منظور، ٤٥٧/٣.

(2) تاج العروس: مادة (ورد)، الزبيدي، ص٤٨٥.

(3) معجم الرائد: مادة (ورد)، ص٢٥١.

(4) نفسه: ص٢٥١.

(5) معجم الغني: مادة (ورد)، عبد الغني أبو العزم، ص١٦٤٢.

يردَ في صحبة لفظ آخر لمناسبة بينهما في المعنى"[6].

ويُعد التواردُ أحد مظاهرِ التضام الإيجابي الذي يسهم في اتساق الألفاظ عبر العلاقات الدلالية الرابطة بين مفرداته، فهو" انتظامُ العلاقةِ المعجمية في سبيل تحقيق الدلالة السياقية النصية المبتغاة، وذلك عن طريق معرفة ما يقوم بين مفردات المعجم من علاقات تجعلها تقع في أصناف متمايزة؛ إذ يلتقي صنفٌ منها بصنف، فيصبح للكلمة من هذا وللكلمة من ذلك، وأن يجتمعا في الكلمة الواحدة"[7]، ويُعرفُ التوارد عند آخرين بأنه:" الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الوحدات الأخرى"[8].

أما الإضافة لغة: فهي من الجذر اللغوي (ض ي ف)، ولها دلالات مختلفة منها: الميل والاستئناس، قال الفراهيدي:" هو مضاف إلى كذا أي ممال إليه، وأضاف الشيء إلى الشيء إمالة"[9]، وقيل بالمعنى نفسه في المعجم الوسيط[10]، وجاءت كلمة (ضيف) بمعنى النسبة والإسناد، قال ابن هشام عند تعليقه علي بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

فلما دخلناهُ أضَفْنا ظُهورَنا

إلى كلِّ جاريٍ جديدٍ مشطبِ

أي: لما دخلنا هذا البيت أسندنا ظهورنا، وهو مراد الشاعر ومقصودة[11].

والإضافة في الاصطلاح هي: امتزاجُ اسمين على وجه يفيد تعريفًا أو تخصيصًا[12]، وعرفها ابن هشام أنها: "إسناد اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه" [13]، وعرفها عباس حسن أنها: " الصلة المعنوية الجزئية التي بين المتضايفين المضاف والمضاف إليه" [14]، وقد قسموا الإضافة إلى قسمين: المضاف، وهو الاسم المعرب الذي يعرب بحسب موقعه في الجملة ويضاف في معناه إلى اسم أو ما في حكمه، ويمتنع عند إضافته من التنوين، والقسم الثاني: هو المضاف إليه الذي عرفوه أنه: اسم ظاهر أو ضمير مضاف إليه، واسم قبله يسمى المضاف لتوضيحه وتحديده[15].

وبذلك اقتضى البحث دراسة هذا النوع من التوارد في شكل من أشكال المركب الاسمي الخاص بالمضاف والمضاف إليه، وقد اخترت مجموعة من التراكيب الخاصة بهذا المركب الإضافي، وكان الاختيار مناطًا بالتراكيب الشائعة في الشعر الجاهلي، التي اشتهرت على ألسنة شعراء العصر الجاهلي الذين وظفوا هذا التوارد المتمثل بالمركب الإضافي في أشعارهم، وجعلوا العلاقة الجامعة بين اللفظين المتواردين هي علاقة التضايف التي أسهمت في الاتصال بين اللفظين، مما يجعلهم يصفونهما بالشيء الواحد وقد عبر المبرد عن الصلة الوثيقة بين المضاف والمضاف إليه، بقوله: " فإذا أضفت اسمًا إلى اسم مثله مجرد

(6) اجتهادات لغوية: تمام حسان، ص٦٨.

(7) ضوابط التوارد: تمام حسان، ص٣١٨.

(8) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص٢١٦.

(9) العين: مادة (ضيف)، الفراهيدي، ٦٧/٧.

(10) المعجم الوسيط: مادة (ضيف)،٥٤٧/١.

(11) ينظر: أوضح المسالك: ابن هشام ١٥١/٣.

(12) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش ١١٨/٣.

(13) شرح شذور الذهب: ابن هشام ص٣٤٣.

(14) النحو الوافي: عباس حسن ٢/٢.

(15)المبسط في القواعد والإعراب: ص١١٦.

أو مضاف، صار الثاني من تمام الأول وصارا جميعًا اسمًا واحدًا"[16].

ولقوة الصلة بين المتضايفين، فقد جعل النحاة المضاف إليه من تمام الأول، فلا يجوز الفصل بينهما؛ لأنهما كالشيء الواحد، ولما بينهما من تماسك وترابط واقتران، فالتوارد بين المتضايفين يقوم على مبدأ التآلف والشيوع والإلف والعادة بين أفراد المجتمع الواحد، والبيئة الاجتماعية الواحدة[17].

فالمضاف والمضاف إليه يستدعي كل واحد منهما الآخر، أي: أن المضاف إليه يتطلب المضاف؛ لأنهما لفظان يستوجب ذكر الواحد منهما ذكر الآخر، ما يدل على أنهما يدلان على شيء واحد، يقول تمام حسان:" المضاف والمضاف إليه يتطلب أحدهما الآخر "[18].

وتتجلى فكرة التوارد بين المتضايفين عند وجود كلمات تلازم الإضافة، فلا تستطيع أن تستقل بذاتها في الاستعمال اللغوي بدون ضميمة أخرى تستند إليها وتتوارد معها، فيتحدد من خلالها المعنى[19].

وقد جاءت أمثلة كثيرة في التوارد الإضافي منها: (غراب البين)؛ إذ تقول العرب:" أشأم من غراب البين"[20]؛ لأنه يفجعُ الناسَ لنعيبه بالبين ويتشاءمون منه؛ لأنه نذير الفراق، فالتوارد في المثل المذكور محصور بين كلمتي (غراب البين)، وأما عن سبب تسميته بغراب البين؛ فقد جاء ذلك على لسان الجاحظ؛ إذ قال:" وكل غراب يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أم غراب البين نفسه فغراب صغير، وإنما قيل لكل غراب، غراب البين، لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[21]، وهو توارد بين لفظين يستدعي كل واحد منهما الآخر، وقد ورد هذا التوارد اللفظي في شعر عنترة في قوله من الوافر[22].

وَعاداني غُرابُ البَينِ حَتّى

كَأَنّي قَد قَتَلتُ لَهُ قَتيلا

المبحث الأول

التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (غراب البين)

المطلب الأول: المستوى النحوي للفظين المتضايفين (غراب البين):

في قوله من الوافر[23] .

وَعاداني غُرابُ البَينِ حَتّى

كَأَنّي قَد قَتَلتُ لَهُ قَتيلا (الوافر).

1- التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (غراب البين) وتوظيف الشاعر له:

وظَّف الشاعر هذا التوارد (غراب البين) في سياق قصيدته التي بعنوان(عركت نوائب الأيام)، وذلك عندما قتل عنترة مسحل بن طراق الكندي، فأرسل عبلة مع مالك بن زهير إلى ديار عبس، وتخلف هو مع بسطام بن قيس الشيباني، وكان عنترة قد تذكر أعمال عمه وبغضه له، وتجاهله لحب عنترة لعبلة؛

(16) المقتضب: المبرد، ١٤٣/٤.

(17) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: للأنباري، ٤٣١/٢، وينظر: المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص: نوال بنت إبراهيم الحلوة، ص٨٨.

(18) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص٢١٨.

(19) ينظر: ظاهرة التلازم التركيبي ومنهجية التفكير النحوي: جودة مبروك، ص٢٨١، وينظر: المصاحبة اللغوية في سياق الأحاديث النبوية: نصر الدين بابكر، ص٤٢.

(20) مجمع الأمثال: الميداني، ٣٨١/١.

(21) الحيوان: الجاحظ، ٤٣١/٣، وينظر: الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل: أحمد عيسى الهلالي، ص116.

(22) ديوان عنترة بن شداد: ص147.

(23) ديوان عنترة بن شداد: ص147.

لذلك تشكل غراب البين في معجمه الشعري، وشكل دورًا كبيرًا في حياته؛ إذ استطاع مجاوزة الاستخدام التَّطيري الشائع والسائد له في الشعر الجاهلي، إلى استخدامات رومانسية خارقة للمألوف متنوعًا مواقفه معه، من استخبار منه ومحاورة معه، واستعانة به، واستصحاب له، وخوف منه، حتى أن الشاعر جعل من الطير أستاذًا له ومعلمًا يتعلم منه دروسًا في الشّجو والبكاء والعويل، وبهذا التوظيف توطدت العلاقة بين الشاعر والطير إلى حد كبير، على خلاف التوظيف الاستخباري فقط، وقد أراد الشاعر عن طريق ذلك العرض إقناع المتلقي بأن حالته والطير في تشاطر تام، وبذلك كان توظيفه للتوارد بين اللفظين (غراب البين) توظيفًا مناسبًا كشف من خلاله عداوة الغراب له، وكأنه يدعو إلى الفراق بين المحبين كما يرى الشاعر الذي تأثر بالأساطير والطقوس الدينية الجاهلية المتعلقة بالطيرة والتطير الذي حرمه الإسلام لاحقًا، ولشدة تشاؤم العرب من الغراب ضربوا به المثل في الشؤم: فقالوا: فلان أشأم من غراب البين[24].

وهو من التراكيب المشهورة التي كثُر حضورُها في الشعر الجاهلي، فكان للإلف والعادة عند الجماعة اللغوية أثرها القوي في توارد الألفاظ، حتى صارت من روافد الشعر الجاهلي؛ لما لهذا النوع من التوارد من أهمية لدى عرب الجاهلية المرتبط بأساطيرهم حول الغراب الذي يتشاءمون منه من ناحية لونه الأسود الذي يرتبط بذهن الجاهلي بمظاهر سيئة تعكس الواقع الاجتماعي والقبلي الذي يحتقر هذا اللون الذي يدل على العبودية، ومن ناحية أخرى فإنه السبب الأول والأخير في فراق الأحبة، وكذلك ما يحمله الغراب في تلك البيئة الجاهلية من سوء، فهو النذير الأول بالفراق؛ لذلك تطير به الشعراء عمومًا، وعنترة على وجه الخصوص فقد تطير بالغراب لسواد لونه، وما يحمله هذا اللون من الكآبة والحزن الذي يعكس حالته النفسية المرتبطة بواقعه الاجتماعي الذي جعل من أبيه لا يعترف به، وهو السبب نفسُهُ الذي جعل عمه يرفض زواجه من عبلة، مما جعل الشعراء يوظفونه في أشعارهم، ويرسمون صورهم الشعرية التي وظفت هذا اللون، وكأنه علامةً مميزةً للتشاؤم والفراق والألم، فجاءت الصورة الشعرية الجاهلية عن الغراب حاملةً معها دلالته السوداوية التي تدل على الغدر والخيانة والغربة والتشاؤم[25] .

2- إعراب اللفظين المتضايفين (غراب البين):

يتكون هذا التركيب الإضافي (غراب البين) من فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة وهو المضاف (غراب)، بينما أُعربت كلمة (البين) مضافًا إليه مجرورًا بالكسرة الظاهرة، ويُعد هذا المركبُ الإضافي بين كلمتي (غراب – البين) من المركب الاسمي الإضافي ذات النمط البسيط، وقد سمي بالمركب الاسمي؛ لأنه بدأ باسم، وسمي بالنمط البسيط؛ لأنه يتكون من كلمتين

(24) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي أبو سنينة، ص28.وينظر: المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري، 184/1.

(25) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل: أحمد هلال، ص٢٢. وينظر: المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ: ص٢٨٠، وينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي أبو سنينة، ص٣١.

مفردتين فحسب[26]، وبذلك فإن الترابط بين المتضايفين من خصائص الإضافة، فلا يكون المضاف إلا مع المضاف إليه، حتى جعلوهما بمنزلة الكلمة الواحدة عند النحويين، فبينهما نسبة تقييدية؛ لأن القصد من قولنا: غرابُ البين، هو أن ننسب الغراب إلى البين، وهذه النسبة قائمة على الربط بين الأول (غراب) والثاني (البين)؛ إذ يكونان بمنزلة الكلمة الواحدة، وعليه فقد أفاد المركب الإضافي معنى الانتساب والاختصاص، ومن ثم فإن للإعراب دورَهُ في التمييز بين المعاني[27].

وقد أفاد استخدام المركب لدى شعراء الجاهلية الاختصاص؛ لأنه أصبح علمًا مشهورًا يختص بالبين والفراق والشتات، وهو ما يؤكد لنا على العلائق القوية الرابطة بين اللفظين، ولهذا فإن المركب الإضافي (غراب البين) من التراكيب البارزة والمهمة في لوحة الغراب؛ إذ نجد الشعراء يعمدون إلى إضافته إلى كلمة (البين)، فتتولد عن هذه الإضافة معانٍ جديدةٌ من خلال الربط بين اللفظين المضاف والمضاف إليه، وتتحول هذه الإضافات إلى متواردات شائعة[28].

واستخدم شعراء العصر الجاهلي أفعالًا معينة تختص بالإنسان إلا أن العرب أجازوا استعمالها مع الغراب خصوصًا، ومن تلك الأفعال الواردة في سياق أنسنة الغراب الفعل الماضي (عادى) الذي استخدمه عنترة وتميز به عن غيره من شعراء الجاهلية؛ إذ وظفه الشاعر دلالةً على المعادة، لا سيما إذا نظرنا إلى طبيعة تلك المعادة وشدتها من خلال تشبيه الشاعر لها بالأخذ بالثأر وما يوحي بقوة العداء اهتمامُ الشاعر بالغراب حتى أنزله منزلة الند في الخصومة، وألبسه صفة الإنسانية، مستخدمًا في ذلك أسلوب التشخيص بتصوير ما لا يعقل في صورة من يعقل[29].

كما أكثر الشعر الجاهلي من استخدام كلمة الغراب في موقع الفاعل المباشر غالبًا، وجعله في موقع النائب عن الفاعل في بعض الحالات النادرة في شواهد الشعر الجاهلي، وكأن هذا الموقع الإعرابي للغراب في أشعارهم يُكرسُ الفكرة الراسخة في أذهان أولئك الشعراء بأن للغراب دورًا كبيرًا في فراق المحبين، فيما يعتقدونه في أساطيرهم الجاهلية المرتبطة بطقوسهم الدينية، فيكون على الغالب فاعلًا للأفعال التي يسندونها إليه[30].

ويبقى الغراب على فاعليته مع عنترة إلى مرحلة أن رأى الغراب معاديًا له، فجعله فاعلًا متأخرًا عن مفعوله (ياء المتكلم) في الفعل (عادني)، وهذا الفاعل يعادي الشاعر ويستفزه، ليتفكر عنترةُ مستغربًا سبب هذه العداوة، التي كأنها تأتي من إنسان يحمل الضغينة ويطالب بالثأر والقصاص[31].

ومن ثم فإن الإضافة من الأساليب التركيبية البارزة والمهمة في لوحة الغراب؛ إذ نجد الشعراء يعمدون إلى إضافته إلى مفردة (البين)، فتتولد من خلال استخدام الإضافة معانٍ جديدةٌ من خلال الربط بين لفظين متجاورين، حتى أن هذه الإضافات تحولت إلى

(26) ينظر: التراكيب المسكوكة في اللغة العربية وعلاقاتها بالمتلازمات اللفظية والتناص: إبراهيم عوض، ص٣٤٥، وينظر: المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد: مفلاح بن عبد الله، ص٢٨٠.

(27) ينظر: الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة نحوية دلالية إحصائية: ص14.

(28) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل: أحمد عيسى هلال، ص116، وينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي أبو سنينة، ص٤٠.

(29) نفسه: ص108.

(30) نفسه: ص108..

(31) نفسه: ص١٠٩.

متواردات شائعة ومشهورة بين أبناء اللغة، ومن أبرز تلك المجاورات المجاورة بين كلمتي (غراب البين)، فنجد الغراب مضافًا إلى مفردة البين؛ ليعبر الشاعر عن حرمانه وبُعد حبيبته وبينها عنه، ويخاطب الغراب بإضافته إلى كلمة (البين)؛ لأنها تُعبرُ تمامًا عن حالته و إحساسه[32]، وبذلك يتضح دور الإعراب في تحديد المعنى المراد وترجيحه، وبه يفرق بين المعاني في الفاعل والمفعول، والصفة والموصوف، ويكشف عن الكلمة ووظيفتها اللغوية[33].

3- العلاقة النحوية الرابطة بين اللفظين المتواردين (غراب البين):

أما عن العلاقات النحوية الجامعة بين اللفظين فهي علاقة الإضافة التي لاءمت بين المتضايفين (المضاف والمضاف إليه)، فجمعت بين المضاف (غراب)، والمضاف إليه (البين)، وأفادت الاختصاص بينهما، وحددت المعنى المقصود، ووثقت أواصر الكلام، وجعلت بعضَهُ آخذًا برقاب بعضه الآخر، وبذلك فقد أسهمت هذه العلاقة في الربط بين اللفظين، وجعلتهما بمنزلة الشيء الواحد، وسوغت في تواردهما على المستوى النحوي عن طريق الإضافة المباشرة التي جعلت المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة التي لا يفهم منها إلا معنى واحدًا؛ لذلك أسهمت هذه العلاقة في توضيح المعنى، وحققت الربط بين الاسمين المتضايفين، كما حققت علاقة الإضافة معنى دلاليًا جديدًا هو الفراق والارتحال[34].

بالإضافة إلى علاقة النسبة الرابطة بين المضاف (غراب) والمضاف إليه (البين)، التي تعد من العلاقات السياقية المرتبطة بالقرائن المعنوية التي تسهم في ترابط الألفاظ، وتكشف عن معناها على المستوى النحوي[35].

المطلب الثاني: المستوى الدلالي للفظين المتضايفين (غراب البين):

1- التوارد المعجمي للفظين المتضايفين (غراب البين):

أما التوارد المعجمي لهذين اللفظين المتواردين (غراب البين) فقد تواردا مع بعضهما في الكثير من معاجم اللغة، وسوف نتناول اللفظ المحوري الأول (غراب) في معاجم اللغة؛ إذ ورد في لسان العرب عن الغراب أنه: "الطائرُ الأسودُ، والجمعُ أغربةٌ، وأغرُبٌ، وغِربانٌ، وغُرُبٌ، قال: أنتم خِفافٌ مثلُ أجنحةِ الغربْ، وغرابينُ جمعُ الجمعِ"[36].

وذكر معجم الوسيط الغراب أنه: "جنس طيرٍ من الجواثم، يطلق على أنواع كثيرة، منها: الأسودُ، والأبقعُ، والغدافُ...، يضرب به المثل في السواد، والبكور، والحذر، والبعد، يقولون: بكرَّ بُكُورَ الغُرابِ، وفلان أحذر من الغراب، ويقال: طار غُرابُه: شابَ، وأرض لا يطير غرابُها: خِصْبة والجمع: غِربانٌ، وأغْرُبٌ، وأَغْرِبةٌ"[37].

أما عن معنى كلمة (البين) فقد ذُكرت في معاجم اللغة بمعان كثيرة، منها: الفرقة، والصلة والمودة، فنقول:

(32) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل: أحمد هلال، ص113.

(33) ينظر: الإيضاح في علل النحو: مازن المبارك، ص٩١.

(34) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور الثعالبي، ص٤٥٨ .
وينظر: مصطلحات علم التركيب عند تمام حسان دراسة وصفية: ص134.

(35) ينظر: دور العلاقات الدلالية للمفردات في بناء القواعد النحوية: عبد الرحمن السرحان، ص19.وينظر: العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب: ص194.

(36) لسان العرب: مادة (غرب)، ص3229.

(37) معجم الوسيط: مادة (غرب)، ص647.

ذاتُ البينِ، أي: ما بين القوم من القرابة والصلة والمودَّة[38].

واقترن اللفظان في المعجم الوسيط ما نصه: "والعربُ يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل، فيقولون: غراب البين"[39]، وتواردا في معجم اللغة العربية المعاصرة ما نصه: " غراب البين: من يُتشاءم به لأنه نذيرُ الفرقة"[40].

وأما عن تسميته بـ (غراب البين)، فقد توارد اللفظان مع بعضهما في الكثير من كتب التراث، منها: كتاب الحيوان للجاحظ قال فيه:" وكل غراب يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أما غراب البين نفسه فغراب صغير، وإنما قيل لكل غراب، غراب البين لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[41].

ولذلك كره العرب رؤية الغراب؛ لأنه يدل على تفرق الأحبة وبينونتهم عن ديارهم، ولما كان الغراب لا يظهر إلا عند بينونتهم اشتقوا له هذا الاسم من البينونة[42].

ولو تأملنا المعنى المعجمي لهذا التوارد (غراب البين) لوجدناه يختلف عن المعنى الدلالي؛ لأن المعنى لا يتحصل إلا بحكم العلاقة بين الألفاظ في سياقاتها المختلفة، بمعنى أن التفسير المعجمي للكلمة بعيدًا عن السياق ينتج لنا دلالة مجردة ترتبط بأصل الوضع، أي: الدلالة الأولى للكلمة التي وضعت عليها في الاستخدام الأول، وهذا المعنى يختلف عن المعنى الدلالي الناتج من توارد اللفظين ببعضهما في سياق معين، ليؤدي هذا التوارد معنى جديدًا غير المعنى المعجمي الحرفي، ومن ثم لا نحصل على المعنى الدلالي إلا من خلال وضع الألفاظ في تركيب وسياق معين، حينئذ نحصل على المعنى الدلالي الذي لا نستطيع الحصول عليه من خلال التفسير المعجمي الحرفي لمثل هذه الألفاظ التي لا يُفهم معناها بفهم معنى الألفاظ المفردة المكونة لها، وإنما يدرك المعنى الدلالي مما اصطلحت عليه الجماعة اللغوية، واتفقت عليه، وبذلك يتضح لنا أهمية التوارد في تحديد المعنى[43].

2-اللفظ المحوري والمتوارد للفظين المتضايفين (غراب البين):

يرتبط اللفظ المحوري (غراب) ارتباطًا وثيقًا باللفظ المتوارد (البين)؛ لمناسبة جامعة بينهما، وهذه المناسبة هي التلازم القوي بين اللفظين، بمعنى أن اللفظ المحوري قد لازم اللفظ الثاني الذي يقوم بتوضيح المعنى، فيكونا معًا دلالةً جديدةً لم تكن موجودةً قبل تواردهما معًا، وبما أن بينهما علاقة تلازم فإنه متى ما ذكر اللفظ المحوري (غراب) يتبادر إلى الذهن اللفظ المتوارد؛ لارتباطٍ بينهما في الدلالة والتركيب، ومن ثم فإن بين اللفظين المتواردين علاقة ارتباط وربط قوية لا نستطيع عندها استبدال اللفظ المحوري بغيره، كما لا نستطيع استبدال اللفظ المتوارد (البين) بغيره من الألفاظ المتواردة؛ الأمر الذي يدل على مدى التلازم القوي بين اللفظين حتى أن يمكننا التنبؤ باللفظ المتوارد بشدة بمجرد ذكر اللفظ المحوري[44].

(38) ينظر: معجم الوسيط: مادة (بان)، ص٨٠.

(39) معجم الوسيط: مادة (غرب)، ص٦٤٧.

(40) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، ص1602.

(41) الحيوان: الجاحظ، ٤٣١/٣.

(42) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي عبدالعزيز أبو سنينة، ص30.

(43) ينظر: المعنى الدلالي في السياق: ابن الدين بخولة، ص65.

(44) ينظر: المصاحبة اللفظية بين الصفة والموصوف في خطب الرسول (ص)دراسة دلالية: رشا كاظم، ص328.

3- نوع التوارد اللفظي في اللفظين المتضايفين (غراب البين):

يعد هذا التوارد من التوارد المنتظم والمتوقع؛ لأنه لا يقبل التبادل والاستبدال بين كلماته، وهذا النوع من التوارد ينتج من العلاقات الأفقية بين الألفاظ، ويتكون هذا التوارد من الكلمة المحورية (غراب)، التي لم تقترن بغيرها، ولم تتوارد مع كلمات أخرى من تلك الكلمات التي تحمل المرادف ذاته لكلمة البين، مثل: الفقد، والفراق، والبعد، والنأي، وغيرها، ومن ثم جعلوه من التوارد المنتظم الذي يرفض كل زيادة على ألفاظه، كما يرفض أي حذف في كلماته المتواردة، وهو توارد مُتوقع، ودرجة التوقع المتبادل بين اللفظين قوية جدًا حتى أن المتلقي يستحضر اللفظ المتوارد (البين) كلما سمع اللفظ المحوري (غراب)[45].

ويختلف نوع التوارد بين الألفاظ من حيث استمراريته وانقطاعه، وتاريخ استعماله، ومرجع ذلك تداوله بين أبناء اللغة، فهو الذي يدل على استمراريته أو انقطاعه، وبذلك فإن التوارد بين كلمتي(غراب البين) توارد منقطع انقطع استعماله في العصر الحاضر لاختلاف البيئة في العصر الحاضر عن البيئة في العصر الجاهلي الخاضع للأساطير والطقوس الدينية، بالإضافة إلى التطور اللغوي الذى اختار ألفاظًا أخرى تتماشى والبيئة المعاشة، يقال: هذا التوارد في مقام واحد هو مقام الفرقة والبين؛ إذ جعلوه من المتواردات التي انقطع استعمالها وصارت موقوفةً على فترة تاريخية معينة[46].

5-العلاقات الدلالية للفظين المتضايفين (غراب البين):

إن العلاقة الدلالية الرابطة بين المضاف والمضاف إليه، التي أسهمت في تشكيل التوارد اللفظي، وعملت على تلاحم الجزأين المتواردين، هي علاقة التلازم الذكري التي لا يمكن ربطها دلاليًا في ضوء العلاقات الدلالية، وإنما هي مفردات مشهورة إذا ذُكرت استدعت الكلمة المتواردة معها مباشرة دون وجود رابط دلالي لها، وإنما يحكمها الإلف والعادة وثقافة الجماعة اللغوية، فهما اللذان يتحكمان في مثل هذا النوع من التوارد، بالإضافة إلى المناسبة المعجمية الجامعة بينهما، التي أسهمت في اتساق اللفظين المختلفين، وعملت على انسجامهم؛ إذ جمعت بين حقلين هما: حقل الطير الذي يمثل الجانب اللفظي الحسي، وهو جانب (الذات)، والحقل المعنوي، وهو الذي يمثل جانب (المعنى)، وهو البين، وبينهما علاقة ارتباط بين شيئين كليهما بحاجة للآخر لا يمكن الاستغناء عنه، بينما سوغت علاقة التكرار هي الأخرى في توارد اللفظين وحققت وظيفتها الأساسية في الربط والاتساق المعجمي بين اللفظين، بل تعدت هذه العلاقة الربط بين المفردات إلى الترابط والتماسك على مستوى الجمل والبيت الشعري، بينما أسهمت العلاقة الاتصالية في ترابط اللفظين؛ لأن المضافِ فيها مما يتصل بالمضاف إليه، وبذلك أسهم هذا الاتصال في تخصيص الحدث بالمضاف إليه، ومن ثم ساهمت هذه العلاقات في تحقيق الارتباط والربط بين اللفظين المتواردين(47).

(45) ينظر: المصاحبة اللفظية في كتاب متخير الألفاظ لابن فارس: ص٢٢٢.

(46) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي: محمد العبد، ص77.

(47) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي أبو سنينة، ص٧٩+٩٥، وينظر: الاتساق المعجمي في معلقة أمرئ القيس: مونيا بلخيري، ص٨٤.

وبين اللفظين إضافة إبداع عندما أبدع الشاعر في توظيفه لكلمتي (غراب البين)؛ إذ استخدم المركب الإضافي بين الغراب ذلك الطائر المعروف، وبين كلمة البين التي تدل على الشيء المعنوي، ولكن إبداع الشاعر في اختياره لهذا التوارد إنما يكمن في المعنى المقصود الذي يريده الشاعر؛ إذ إن الشاعر لم يقصد ذلك الطائر المعروف بمفرده، بل أراد المعنى الدلالي المنبثق من مجموع معنى الكلمتين، وهو الفراق الذي تسبب فيه ذلك الطائر المشؤوم، بحسب ما يراه الإنسان الجاهلي في تلك الأساطير والمعتقدات الجاهلية، وهذه الإضافة الإبداعية لا تكون إلا بعد مرحلة التكوين، أي: بعد صناعة المركب الإضافي[48].

6-البيئة ودورها في توارد اللفظين المتضايفين (غراب البين):

ومن الأهمية بمكان لا بد من ذكر البيئة وأثرها في اختيار الألفاظ المتواردة؛ إذ ينعكس ذلك الأثرُ على الشاعر في اختيار ألفاظه؛ إذ اختار هذين اللفظين المتواردين (غراب البين) من بيئته الجاهلية التي ترى في الغراب جِماعَ الشرِ كُلِهِ، كما تراه الأساطير القديمة المتعلقة بالعصر الجاهلي، وبمرور الزمن تراجع استعمال هذا التوارد شيئًا فشيئًا؛ نتيجة الاختلاف البيئي لأبناء اللغة الواحدة، وبعدهم عن حياة البداوة التي كان يعيشها عرب الجاهلية، مما سبب تراجعًا في استعماله عند متكلمي اللغة، وهذا دليل على أثر البيئة في اختيار الألفاظ المتواردة المتصلة بالبيئة المحيطة اتصالًا مباشرًا؛ الأمر الذي جعل الشعراءَ الجاهليين يربطون الفراق بغراب البين، بوصفه من الأساطيرَ والطقوس الدينية التي ترى في الغراب جماع الشر كله[49].

وسنقف على تحليل هذا التوارد بالشكل الآتي:

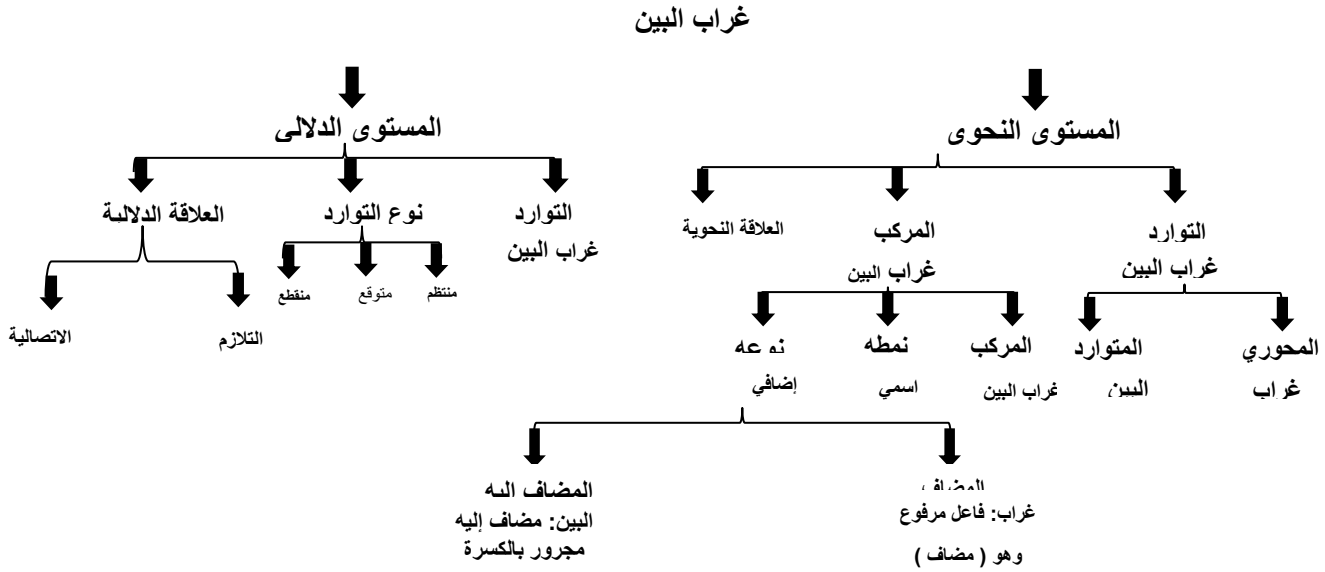

(48) ينظر: الإبداع الدلالي في المتضايفين بين البنية التصويرية والبنية العصبية: عطية سليمان، ص57.

(49) ينظر: الغراب في الشعر الجاهلي: علي أبو سنينة، ص74.

المبحث الثاني

التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب)

المطلب الأول: المستوى النحوي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

في قول الشاعر من الطويل[50].

وَقَدْ وَعَدَتْكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَتْ بِهِ

كَمَوْعُودِ عُرقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ

1- التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب) وتوظيف الشاعر له:

ورد هذا التوارد اللفظي في مركب إضافي مكون من المضاف والمضاف إليه على لسان علقمة الفحل، فوظَّفه في شعره كغيره من شعراء الجاهلية؛ لأنه من الأمثال المشهورة التي نالت شهرة واسعة في أوساط المجتمع الجاهلي، وقصته عندما استعاره أخ له على نخلة فوعده إيَّاها، فقال له: حتى تُزهى، فلما أزهت قال: حتى تُرطب، فلما أُرطبت قال: حتى تجف ويمكن صِرَامها، فلما دنا صِرَامها أتاها ليلًا فصرمها، وأخلف أخاه، فضَرَبتْهُ العرب مثلًا في الخُلف، وبذلك وظف الشاعر هذا التوارد توظيفًا إيجابيًا يدل على كل من يعد بشيء ثم لم يفِ به، وهذا يدل على قدرة الشاعر في اختيار الألفاظ المتواردة التي تتعلق ببيئته الجاهلية المحيطة به، ولشهرة هذين اللفظين المتواردين (مواعد عرقوب) أصبحا من الألفاظ المشهورة والمتداولة بين أبناء اللغة في العصر الجاهلي، ومن ثم وظف الشاعر الجاهلي هذا التوارد المكون من كلمتي (موعود عرقوب) في شعره؛ ليستدلَ به على خُلْفِ الوعد الذي يُعد مذمةً ومنقصةً في المجتمع الجاهلي[51].

2- إعراب التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

يتكون التوارد اللفظي (موعود عرقوب) في هذا التركيب من المضاف والمضاف إليه؛ إذ سبق المضاف حرف الجر(ك) فأعرب اسمًا مجرورًا، وهو مضاف(موعود)، بينما أعربت كلمة (عرقوب) مضاف إليه مجرور بالكسرة، ويعد هذا التركيب من النمط البسيط؛ لأنه مركب من كلمتين فحسب، وعليه فقد استوفى التوارد بين اللفظين شرطي الملاءمة النحوية والتآلف الدلالي، فالملاءمة النحوية تتمثل في الجمع بين المضاف والمضاف إليه عن طريق علاقة الإضافة التي سوغت الجمع بين اللفظين المتواردين، ولقوة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه عدهما النحويون كالشيء الواحد؛ إذ لا يكتمل المعنى إلا بهما معًا، وبذلك اكتسب المضاف التخصيص بعد أن كان لفظًا عامًا، فتخصص بتوارده مع المضاف إليه الذي كمَّل معناه[52].

وتتجلى فكرة التوارد بوضوح بين المضاف والمضاف إليه عند وجود كلمات تتوارد بالإضافة بمعنى أنها لا تستقل بذاتها، ولا تؤدي معنى في الاستعمال بدون ضميمة أخرى[53]، وقد أشار النحويون إلى ذلك وبينوا

(50) ديوان علقمة الفحل: ص٢٠.

(51) ينظر: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل: الأعلم الشنتمري، ص54.

(52) ينظر: المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقاربة نصية في مقالات خالد المنيف: نوال الحلوة، ص88.

(53) ينظر: الجملة العربية: محمد إبراهيم عبادة، ص٦٩.

أن هناك" أسماء لازمت الإضافة لاحتياجها في فهم معناها"[54].

ومن ثم فإن هذا المركب من التراكيب التي لا تستغني عن المضاف إليه، فمثلًا كلمة(مواعيد) تتسم دلالتها بالإبهام، بالإضافة إلى أنها نكرة، وكلما كانت الكلمة نكرة كانت أكثر إبهامًا، وتحتاج لإزالة هذا الإبهام إلى كلمة متواردة توضح دلالتها وتزيل ذلك الإبهام، فعندما أضيفت كلمة (مواعيد) إلى كلمة (عرقوب) صار التركيب: مواعيد عرقوب، عندها اتضحت الدلالة وزال الإبهام[55].

وبذلك فإن التوارد يرتبط بالإعراب ارتباطًا مباشرًا؛ لأنه العمود الصلب الذي لا يصح إلا به، فبينهما علاقة تكاملية في توضيح المعنى، ومن ثم يؤدي التوارد دورًا كبيرًا في إعراب الكلمات المتواردة في الشعر الجاهلي، مما يؤثر في المعنى؛ الأمر الذي يدل على أهمية التوارد وأثره في الإعراب[56] .

3- العلاقة النحوية الرابطة بين اللفظين المتواردين (مواعيد عرقوب):

عملت علاقة الإضافة على الارتباط بين شيئين كلاهما بحاجة للآخر، فكل لفظ منهما يطلب الآخر في تركيب كي يؤدي وظيفته النحوية، وقد اعتمد النحاة في تسمية الإضافة على الجذر اللغوي نفسه، فيقولون: المضاف، ومن الجذر نفسه يقولون المضاف إليه، وعلى هذا لا يتحقق وجودُ طرف بدون الآخر، فهو سببٌ له، فلولا المضاف إليه (عرقوب) ما كان المضاف (موعود)؛ الأمر الذي يدل على مدى التلازم القوي الذي أحدث تماسكًا وترابطًا قويين بين طرفي المركب الإضافي الذي يُعدُ وحدة لغوية واحدة، وهذا التلازم بدوره قد أحدث سبكًا عجيبًا بين اللفظين وسوغ لهما أن يتواردا معًا[57].

وبناءً على ذلك فإن علاقة الإضافة قد لاءمت بين المضاف (موعود) والمضاف إليه (عرقوب)، وأكسبت المضاف التعريف بإضافته إلى اسم علم، وقيدته بالمضاف إليه، فأفادته التخصيص، وأخرجته من دائرة الإبهام بجمع طرفي الإضافة في تركيب واحد، فأسهم الأخير في توارد اللفظين، ومن ثم فإن بين طرفي الإضافة (المضاف والمضاف إليه) اتصالًا قويًا، بوصفها من الإضافة المعنوية التي ليست على نية الانفصال[58] .

المطلب الثاني: المستوى الدلالي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

1- التوارد المعجمي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

أما عن التوارد المعجمي بين لفظتي (مواعيد عرقوب)، فقد وردت الكلمة المحورية الأولى (مواعيد) بمعان كثيرة، منها: الوعد، وموضع الوعد، والمواعدة، والتعهدات، وهي جمعٌ المفرد منها ميعاد، وتُعد الكلمةُ المحورية في المركب الإضافي[59]، وتأتي الكلمة المتواردة معها، وهي (عرقوب) فهي كلمةٌ مفردة والجمعُ عراقيبٌ، وهو عصبٌ فوق عقبِ الإنسان،

(54)همع الهوامع: السيوطي، ٤٩/٢.

(55) ينظر: المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف: علاء طلعت، ص179.

(56) ينظر: معجم الأمثال العربية: محمود صيني، ص٢، وينظر: المثل والتعبير الاصطلاحي في التراث العربي: علاء الحمزاوي، ص٣٧.

(57) ينظر: ظاهرة التلازم التركيبي ومنهجية التفكير النحوي: جودة مبروك، ص277.

(58) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي، ١٣١/١ ، وينظر: جامع الدروس العربية: الغلاييني، ٢٠٥/٣.

(59) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (وعد)، ٥٩٥/١، وينظر: معجم الغني: عبد الغني أبو العزم، ص3820.

ويأتي بمعنى منحنى الوادي، نحو: نزلنا عرقوب الوادي، ويأتي بمعنى الطريق الضيق، نحو: ما أكثر عراقيب هذا الجبل، ويقال: اسمُ رجلٍ من العمالقة اشتهر بخلف الوعد، وعدم الوفاء به[60].

وقد توارد اللفظان في معاجم اللغة منها: لسان العرب الذي ورد فيه: "ومن أمثالهم في خُلف الوعدِ: مواعيدُ عرقوبٍ ضربَتْ به العربُ المثلَ في الخُلفِ، فقالوا: مواعيدُ عرقوبٍ"[61]، وجاء في معجم الوسيط" عرقوبٌ: رجلٌ من العمالقة، يُضربُ به المثلُ في خلف الوعد، يقال: مواعيدهُ مواعيدُ عُرقوبٍ" [62].

وورد في معجم الغني" مواعيدُ عرقوبٍ: اسمُ رجلٍ في الجاهلية يُضربُ به المثلُ في الخُلْفْ بالوعدِ والموعدِ، ويقال: أخلفُ من عرقوبٍ"[63]، ومن ثم فإنه رجل من العمالقة كان يعدُ الناسَ ويخلفُ وعدَه، فقالوا فيه: مواعيد عرقوب، فأصبح عرقوبُ – ولا يزال – مَضربَ المثل بالمطل وعدم الوفاء؛ إذ يُقال: مواعيدُ عرقوب، وأمطلُ من عرقوب[64].

وبشيء من التأمل نلاحظ اختلافًا بين المعنى المعجمي للتوارد اللفظي بين كلمتي (مواعيد عرقوب)، والمعنى الدلالي السياقي الناتج من توارد اللفظين وتضامهما بعضهما ببعض، فلو ذهبنا إلى التفسير المعجمي الحرفي لكلمة(مواعيد)، لوجدناها بمعان مختلفة منها: التعهد، والتهديد والوعيد بالشر، ما يقطعه الإنسان على نفسه[65]، أما عن كلمة (عرقوب) من حيث المعنى المعجمي الحرفي فله معان مختلفة منها: العَصَبُ الغليظُ الذي يكون فوق العقب، ومنحنى الوادي، والطريقُ الضيق، وعرقوبٌ اسمُ رجلٍ في الجاهلية يُضربُ به المثلُ في الخُلف بالوعد[66]، أما عن المعنى الدلالي فقد جاء بمعنى آخر هو: خُلف الوعد، والفارق الأساسي بين المعنى المعجمي والدلالي السياقي هو تعدَّد الأول وتحدَّد الثاني[67].

ومن ثم أدرك علماء اللغة أهمية التضام بين الألفاظ عن طريق توارِدها بعضها ببعض، وأثر السياق في توجيه المعنى وتحديده؛ لذلك أولى المحدثون السياق عنايةً خاصة؛ لأنه المعين على تحديد قيمة الكلمة، فهو الذي يحددها ويجردها من كل الدلالات التي يمكن أن تتبادر إلى الذهن عند سماعها منفردة، ومن ثم فإنه من الممكن أن نقول: بأن الترابط والتماسك بين الألفاظ لا يتحقق بين العنصر الفرد منها بذاته؛ لأنه لا يحمل أيةَ وظيفة اتساقية، وإنما يتم الاتساق عن طريق توارده مع العنصر الآخر داخل التركيب، فعندما تظهر المفرداتُ المتواردةُ حينئذ نتعرف على المعنى الدلالي المصطلح عليه[68].

وبما أن هذا التوارد يعد من الأمثال العربية الشائعة، فهو يتصف بالثبات بمعنى أننا لا نستطيع أن نتصرف فيه، فلا يحق لنا أن نقدم أو نأخر لفظة على أخرى،

(60) ينظر: لسان العرب:٥٩٥/١، وينظر: مجمع الأمثال: الميداني، ٢٥٣/١، وينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي،١٣١/١.

(61) لسان العرب: مادة (وعد)، ٥٩٥/١.

(62) معجم الوسيط: ص٥٩٦.

(63) معجم الغني: ص، 2806 وينظر: المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي في اللغة العربية: ص١٣٧.

(64) ينظر: موسوعة الويكيبيديا: ص1.

(65) ينظر: معجم الرائد: مادة (وعد)، ص867.

(66) ينظر: معجم الغني: مادة (عرق)، ص٢٨٠٧.

(67) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص325.

(68) ينظر: المصاحبات اللفظية ودورها في تماسك النص مقاربة نصية في مقالات خالد المنيف: نوال الحلوة، ص79.

كما لا يمكن أن نزيد بعض الألفاظ، لا يمكن لنا أن نحذف بعض ألفاظ المثل، فالمثل يمثل وحدةً دلالية واحدة، والمثل لا يفهم إلا بالرجوع إلى السياق الخارجي الذي قيل فيه، أي: المناسبة التي قيل فيها المثل، فلا يكفي المعنى المعجمي لمعرفة المثل، بل لابد من معرفة الأحوال المحيطة به التي أسهمت في انتاجه وتداوله بين الناطقين باللغة، ومن ثم فإن بين مفرداتِ المثلِ تلازمًا قويًا؛ إذ إننا لا نستطيع التبادل والاستبدال بين هذه المفردات؛ الأمر الذي يدل على مدى التوافق بين اللفظين المتواردين (مواعيد عرقوب) ومفردات المثل، فكلاهما يتصف بعدم قبوله التبادل والاستبدال بين كلماته، لاسيما عندما يكون التوارد بين اللفظين تواردًا منتظمًا[69].

2- اللفظ المحوري والمتوارد للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

إن بين اللفظين المتواردين تلازمًا قويًا، فكل لفظ منهما ملازمٌ للآخر، فلا يستطيع أن يستغني عنه، ولا يقبل استبدالَه بغيره من الألفاظ، فهما لفظان متواردان يقترن كلُ واحد منهما بالآخر، ويستدعيه إلى جواره؛ لما بينهما من مناسبة جامعة بينهما؛ لأنهما من الألفاظ المتعلقة بالأمثال العربية المشهورة والشائعة بين أبناء اللغة، وهذهِ الألفاظُ تتمتع بصفة الثبات التي لا نستطيع معها استبدالَ لفظ بآخر؛ الأمر الذي يدل على شدة العلاقة التلازمية الجامعة بين اللفظين المتواردين، ومن ثم فإن التوارد اللفظي قد أسهم في اتساق اللفظين وانسجامهما[70].

وبذلك توارد اللفظان المحوري (موعود)، والمتوارد (عرقوب) في شعر علقمة الفحل، وكلمتاه متواردتان في لغتنا العربية في باب الأمثال المشهورة في العصر الجاهلي عن طريق التركيب الاسمي بين المضاف والمضاف إليه، فبينهما تماسك قوي، حتى أنه يمكن للمتلقي التنبؤُ بالكلمة الثانية بقوة إذا ذكرت الأولى، كما أن كلتا الكلمتين لا تستغني عن صاحبتها إذا أردنا معنى خلف الوعد وعدم الوفاء به، ويبدو أن توارد اللفظين قد نتج عنهما دلالةٌ جديدةٌ هي (خُلف الوعد)، ولولا هذا التوارد بين طرفي المركب الإضافي، لما توصلنا إلى تلك الدلالة الجديدة[71].

3- نوع التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

يعد من التوارد المنتظم والمتوقع الذي لا يقبل التبادل والاستبدال بين كلماته، وهذا النوع من التوارد ينتج من العلاقات الأفقية بين الألفاظ التي لا تقبل استبدال ألفاظها، فعند سماع المتلقي لكلمة (موعود) يستدعي ذهنُهُ الكلمة المتواردة معها مباشرة، وهي كلمة (عرقوب)، وهو ما يدل على قوة التوارد بينهما، وقوة العلاقة الوطيدة القائمة بين اللفظين المتلازمين، فبينهما تلازم كتلازم النار والدخان، فرؤية الدخان يستلزم وجودُ النار، أو يَستدلُ به على وجود النار، وهو كذلك للتوارد بين اللفظين (موعود عرقوب) اللذين إذا سُمع الكلمةُ المحورية منهما استدعى ذهنُ السامع الكلمةَ المتواردة معه مباشرة؛ لما بينهما من تلازم قوي يمنع معه الاستبدال بين كلماته، وكذلك درجة التوقع

(69) ينظر: الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية: محمد توفيق، ص46.وينظر: التراكيب المسكوكة في اللغة العربية وعلاقتها بالمتلازمات اللفظية والتناص: إبراهيم عوض، ص341.

(70) ينظر: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: كريم زكي، ص43.

(71) ينظر: المصاحبة اللفظية في شعر شوقي: فريد عوض حيدر، ص576.

المتبادل بين اللفظين تكون بنسبة كبيرة جدًا؛ لأنهما من التوارد المنتظم الذي لا يقبل الاستبدالَ بين كلماته[72].

كما يعد التواردُ بين اللفظين (مواعيد عرقوب) من التوارد المستمر الذي استمر استعمالُه حتى وقتنا الحاضر، وصار مشهورًا وشائعًا بين الناس قديمًا وحديثًا، وقد اشتهر هذا التوارد، وتناولته ألسنةُ الناس في العصر الجاهلي بما فيهم الشعراءُ والكتابُ وغيرُهُم، وبما أن اللغة تتأثر بالبيئة المحيطة، فقد أهملت بعض الألفاظ وأخذت ببعضها الآخر نتيجة لتطور اللغة، والأخذ بالألفاظ التي تتناسب والبيئة المحيطة[73].

٥- العلاقات الدلالية للفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

أما عن العلاقات الدلالية الجامعة بين اللفظين المتواردين، فهي العلاقة الاتصالية (التلازمية) التي يكون فيها المضافُ مما يتصل بالمضاف إليه، فيحدث اتصالًا يسهم هو الآخرُ في تخصيص الحدث بالمضاف إليه، بالإضافة إلى مناسبة جامعة بينهما تتمثل باجتماعهما في حقل واحد هو حقل الأمثال، بوصفه مثلًا من أمثالهم المشهورة التي احتوتها كتب التراث العربي خصوصًا كتب الأمثال، بينما سوغت العلاقة العرفية في توارد اللفظين ببعضهما؛ لأنها تستمد دلالتها من العرف الذي يختلف باختلاف ثقافة المجتمع، وتعتمد على اتفاق واصطلاح أفراد المجتمع، ومن ثم فإن هذا التوارد خاضع للإلف والعادة المتعارفِ عليها بين أبناء تلك اللغة[74].

وبذلك أسهمت العلاقات الدلالية بين اللفظين في تحديد دلالة المركب الإضافي (موعود عرقوب)، لتصبحَ هذه العلاقاتُ هي الرابط القوي بين المتضايفين (المضاف والمضاف إليه)؛ إذ ربطت بينهما وسوغت لهما أن يقترنا معًا؛ لذا يمكن من خلالها إنتاج معانٍ جديدة تدل على التطور اللغوي والحضاري عند أبناء هذه اللغة، وهذا يعكس مدى قدرة المتكلم الإبداعية على خلق دلالة جديدة يسد بها حاجاتَه اللغويةَ المتزايدةَ كلِ يوم[75].

ومن ثم فإن العلاقة بين المستوى النحوي والدلالي قوية جدًا؛ إذ يهتم المستوى النحوي بالعلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة وتحدد وظائفها، بينما يعمل المستوى الدلالي على إبراز الاختلاف بين تلك التراكيب المختلفة، وتقوم الدلالة حينئذ بتوجيه التراكيب النحوية، وتكتسب الكلمة معناها من السياق اللغوي التي ترد فيه[76].

٦-البيئة ودورها في توارد اللفظين المتضايفين (مواعيد عرقوب):

أما عن الإنسان وعلاقته بالبيئة فقويةٌ جدًا كما تبدَّى ذلك في الشعر الجاهلي، فبينهما ارتباط وثيق، فالإنسان يعكس ما يدور في بيئته المحيطة به، فيأخذ من الألفاظ التي تمثل بيئتَه المعاشة خيرَ تمثيل، وتتأثر هذه الألفاظ بالطقوس الدينية والحياة

(72) ينظر: المتصاحبات اللغوية وتطبيقاتها في تعليم اللغة: محمود جلال، ٢٩٤.

(73) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي: محمد العبد، ص77.

(74) ينظر: المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي: محمد داود، ص١٣٧، وينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي، ١٣١/١.

(75) ينظر: الإبداع الدلالي في المتضايفين بين البنية التصويرية والبنية العصبية: عطية سليمان، ص38.

(76) ينظر: دور العلاقات الدلالية المعنوية للمفردات في بناء القواعد النحوية: عبد الرحمن قبلان، ص30.

الاجتماعية التي يعيشونها، فكان لها دورها الكبير في اختيار الألفاظ المتواردة التي تأتي على لسان الشعراء، فهم من ينقلون

تلك الألفاظ ويجسدونها في واقعهم المعاش، ومن ثم يبقى المثل وحدة واحدة لا تتجزأ؛ لأنها قيلت في مرحلة تاريخية معينة، والمثل لا يُفهم إلا بالرجوع إلى السياق الخارجي الذي قيل فيه، وإلى معرفة الأحوال البيئية المحيطة به التي أسهمت في انتاجه وتداوله بين أبناء اللغة [77].

وسنقف على تحليل هذا التوارد بالشكل الآتي:

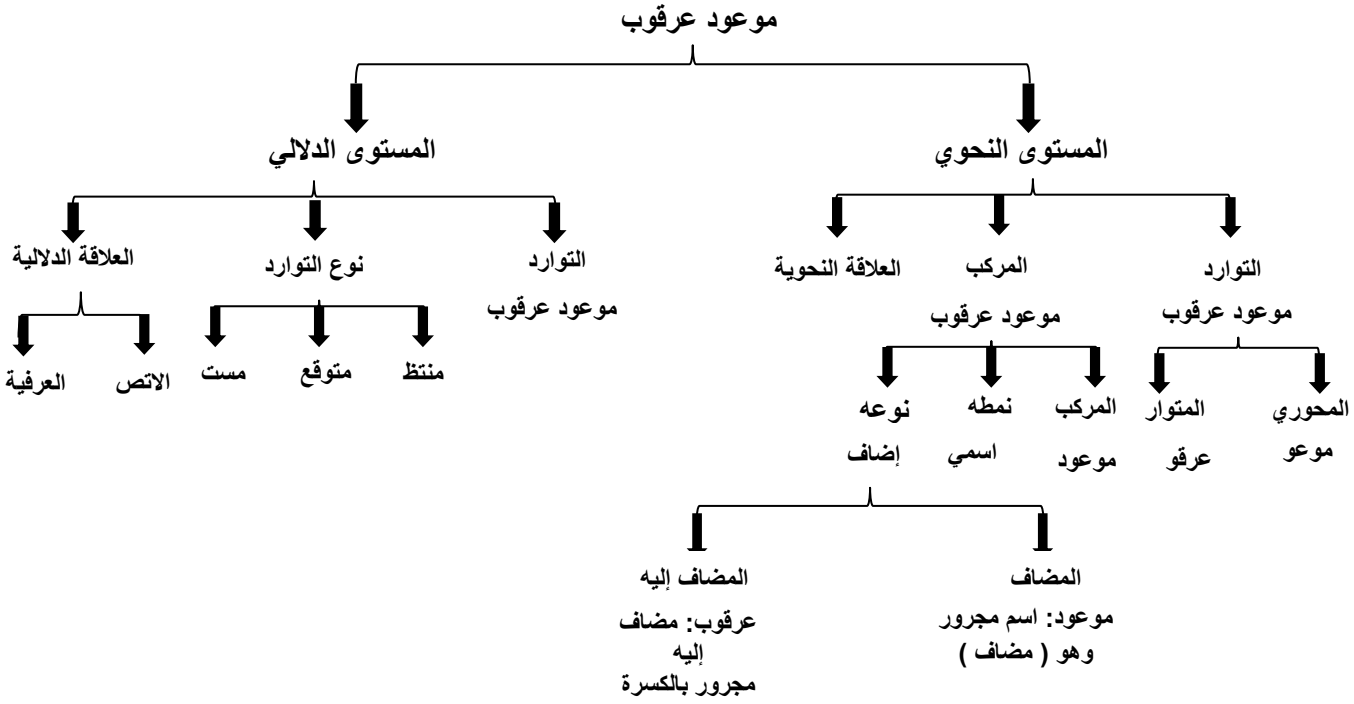

المبحث الثالث:

التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (يوم كريهة)

المطلب الأول: المستوى النحوي للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

في قول الشاعر من الوافر [78]:

بيومِ كريهةٍ ضَرْبًا وطَعْنًا

أَقَرَّ به مواليكِ العُيُوانَا

1-التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (يوم كريهة) وتوظيف الشاعر له:

ذكر الشعر الجاهلي هذا التوارد الذي ورد على ألسنة الكثير من شعراء الجاهلية في صورة المضاف والمضاف إليه، ومن هؤلاء الشعراء عمرو بن كلثوم الذي وظفه في شعره في سياق الحرب، فقال نخبركِ بيوم حرب اشتد فيه الضرب والطعن بين الفئتين المتحاربتين، والحرب الشديدة هي التي يطلقون عليها (يوم الكريهة)؛ لكراهة العرب لها، وقد استخدم الشاعر كلمة (أقر)، فقال: نخبركِ بيوم حرب اشتد فيه الضرب

(77) ينظر: الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية: محمد أبو علي، ص١٨٧.

(78) ديوان عمرو بن كلثوم: ص٦٧.

والطعن، ففاز بنو أعمامكِ ببغيتهم من قهر أعدائهم، فأقر الله عيونهم؛ وأي أبرد دمعها، وسرها غاية السرور، وقيل: أنام الله أعينهم وأزال سهرها؛ لأن العيون تقر في النوم و تطرف في السهر؛ الأمر الذي يدل على مدى تمكن الشاعر وإبداعه في اختياره لهذه الألفاظ المتسقة بعضها ببعض، التي كان لعامل البيئة الجاهلية الأثر الكبير في تكوين هذا التوارد بين اللفظين[79].

2-إعراب للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

استعمل عمرو بن كلثوم هذا التوارد المتمثل بالمركب الإضافي (يوم كريهة)، بمعنى: المعركة شديدة الحرب، وقد تكوَّن هذا المركب من: ظرف زمان (يوم) مجرور بالباء لفعل محذوف تقديره (نخبركِ)، وهو مضاف، و (كريهة) مضافٌ إليه مجرورٌ بالكسرة الظاهرة مثلُهُ، وقد أضيف إلى اسم نكرة فاكتسب منها التخصيص، فالتوارد بين لفظتي (يوم كريهة)، قد جاء في مركب اسمي يتكون من المضاف و المضاف إليه، ويطلق عليه المركب الإضافي ذات النمط البسيط الذي يتكون من كلمتين فحسب، بينما جمع بين اللفظين المتواردين علاقةٌ نحوية رابطة بينهما، هي علاقة الإضافة التي ربطت بين طرفي الإضافة (المضاف والمضاف إليه)، وأسهمت في تواردهما، باعتبار أن هذين المتضايفين يمثلان وحدة دلالية واحدة تدل على قوة الاتصال بينهما؛ لكونهما من الأسماء الملازمة للإضافة[80]، وقد حدث لطرفي التوارد (يوم الكريهة) في المركب الاسمي انتقال دلالي من التعميم إلى التخصيص؛ لأن المعنى قد اقتصر على الحرب بعدما كان لفظًا عامًا يُطلق على كل شيء تكرهه النفس، فعندما أضيفت كلمة يوم إلى الاسم النكرة (كريهة) أكسبتها التخصيص، وأصبحت كلمة (كريهة) بعد ذلك تعنى بالحرب دون غيرها، فانتقلت من دائرة العموم إلى التخصيص، وعملت على تحديد المعنى وتوضيحه، وهو ما ينطبق كذلك مع المضاف (يوم) الذي جاء مبهمًا، فجاء المضاف إليه (كريهة) وأزال ذلك الإبهام، وجاءت كلمتا (ضربًا وطعنًا) في سياق البيت لتأكيد المعنى المقصود وهو الحرب، وقد نُصبا على المفعولية المطلقة؛ إذ جاء اللفظان منصوبين على أنهما مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نضرب ضربًا، ونطعن طعنًا، ولا يخفى أن اختيار صيغة المصدر وتنوينها يجسد حركة الضرب وتبادل الطعن، ويسمعنا ذلك الرنين الناتج عنهما عن طريق توافق الكلمتين في الفاصلة الأخيرة التي أحدثت نغمًا موسيقيًا يعكس ذلك المشهد[81]، فالإضافة بين اللفظين المتواردين قد أفادت الإيجاز وتحديد المعنى؛ لأن الإضافة في مثل هذه المواضع تفيد الاسم النكرة نوعًا من التخصيص الذي يسهم – هو بدوره – في تحديد المعنى وتمييزه، ومن ثم فإن

(79) نفسه: ص67.

(80) ينظر: ظاهرة التلازم التركيبي ومنهجية التفكير النحوي: جودة مبروك ص284.

(81) ينظر: الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة نحوية دلالية احصائية: عاهد حسين، ص231، وينظر: شعر المعلقات في ضوء الدراسة التحليلية والرؤية المعاصرة: صلاح رزق، ص59.

الإعراب هو الذي يكشف عن المعاني المغلقة، ويعمل على فتحها[82].

3- العلاقة النحوية الرابطة بين اللفظين المتواردين (يوم كريهة):

أما عن العلاقة النحوية الجامعة بين اللفظين، فهي علاقة الإضافة التي لاءمت في الجمع بين المضاف (يوم) والمضاف إليه (كريهة)، وقد جاء الاسم المجرور مضافًا إلى نكرة أفادت العموم والتهويل والتعظيم لذلك اليوم، ما يدل على أهمية التراكيب في فهم المعنى؛ إذ لا يفهم المعنى من الألفاظ المفردة التي لم تنخرط في تركيب ما؛ لأن اللفظ الواحد يختلف معناه عن المعنى الكلي لأجزائه، ومن ثم يتضح لنا الدور الكبير الذي تؤديه علاقة الإضافة في الربط بين طرفيها (المضاف والمضاف اليه) بالإضافة إلى دور التوارد في تحديد الدلالة، فله دوره الواضح – وبلا شك – في تحديد معنى الكلمة، ولذا فإن بين اللفظين ملاءمةً قويةً على المستويين التركيبي والدلالي[83]، وقد أدرك النحاة حجمَ العلاقةِ القوية بين اللفظين المتضايفين المضاف والمضاف إليه، حتى أن كل واحد منهما يطلب الآخر ويلازمه، وقد أشار المبرد إلى تلك العلاقة الوطيدة بينهما عندما قال: " فإذا أضفت اسمًا مفردًا إلى اسم مثله مفرد، أو مضاف صار الثاني من تمام الأول، وصارا جميعًا اسمًا واحدًا"[84].

ولهذا ربطت الإضافة بين المضاف والمضاف إليه، وأسهمت في اقترانهما، حتى صارا في ظل التركيب الإضافي بمثابة الكلمة الواحدة؛ لأن المضاف إليه يتنزَّلُ من المضاف منزلةَ التنوينِ، فهو من تمامه؛ الأمر الذي يدل على تلازمهما، فالقياس يقتضي عدم الفصل بينهما، وأن محاولة الفصل بينهما يعد من اللحن القبيح؛ إلا أن يضطرَّ إليه الشاعرُ، أي: عند الضرورة الشعرية مع الظرف والجار والمجرور؛ لأنه يُتَّسعُ فيهما ما لا يُتَّسعُ في غيرهما، ومن ثم فقد أجاز البعض من اللغويين الفصل بينهما على اتساع الكلام[85].

وعليه فإن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه هي علاقة ارتباط؛ إذ يكمل الثاني معنى الأول، وهذا يبين لنا مدى إدراك النحويين لهذه العلاقة الوثيقة بين المتضايفين، التي يُقبحُ معها الفصلُ بينهما، وقد وضع ابن جني قانونًا يتعلق بذلك، فقال:" كلما ازدادَ الجُزءان اتصالًا قَوِيَ قُبْحُ الفصلِ بينهما"[86].

المطلب الثاني: المستوى الدلالي للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

1-التوارد المعجمي للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

أما عن التوارد المعجمي بين اللفظين المتواردين (يوم كريهة)، فقد كثُر ورودهما في معاجم اللغة؛ إذ جاءت الكلمة الأولى(يوم) في المعاجم اللغوية بمعنى: الزمنُ المقدر من طلوع الشمس إلى غروبها، وجمعُهُ أيام،

(82) ينظر: معلقة عمرو ين كلثوم دراسة دلالية: الحاج قديدح، ص٦٩، وينظر: تفاعل البنية التركيبية والبلاغية في العملية التواصلية دراسة تطبيقية في اليتيمة لابن المقفع: فريدة سبايعي، ص٩٠، وينظر: صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي: ص٧٩.

(83) ينظر: الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة دلالية تركيبية : ص231.

(84) المقتضب: المبرد، ١٤٣/٤، وينظر: العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب: سليمة عياض، ص٥٩.

(85) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: مصطفى حميدة، ص١٦٨، وينظر: المقاصد النحوية: ٤٨٤/٢.

(86)ا لخصائص: ابن جني، ٣٩٠/٢.

نحو: أيامُ العرب، أي: وقائِعُهُم وحروبُهُم ومعاركُهُم[87]، بينما وردت الكلمة الثانية(كريهة) في المعاجم اللغوية بمعان مختلفة، فقد جاءت في معجم الوسيط بمعنى الحرب والشدة قال:" الكريهةُ: الحربُ أو الشدَّة في الحرب، يقال: شهدتُ الكريهةَ النازلة، والجمع كَرائه، يقال: لقيتُ دونه كرائِهَ الدهر: ما يُكرَه"[88]، ووردت بمعنى المصيبة، والسيف الماضي، ومن المجاز: شهدتُ الكريهة، أي: الحرب، وضربته بذي الكريهة، أي: السيف الماضي، فهي لفظة تدل على ما تكرهه النفس، ولكن لكثرة الاستعمال تم تضييق المعنى فيها ليدل على الحرب فقط على سبيل تخصيص الدلالة[89]، ومنهم من جعل كلمة (الكريهة) اسمًا من أسماء الحرب، والجمع كرائه، وسميت بهذا الاسم لأن النفوس تكرهها، وقد لحقتها (التاء)؛ لأنها أُخرجت مخرجَ الأسماء، مثل النطيحة والذبيحة...، ولم تخرج مخرجَ النعوت نحو: كفٌ خضيب[90].

ومن ثم فان كلمة (كريهة) لفظة تدل على العموم أي: ما تكرهه النفوس عامة، وعندما اقترنت بالمفردة (يوم) أفادتها الاختصاص، ودلت على أيام الحرب واختصت بها، ومن المعاجم التي توارد فيها اللفظان واقترنا مع بعضهما معجم تاج العروس عندما ذكر هذا التوارد على لسان عنترة عندما قال: علالتنا في كل يوم كريهة، وجاء التوارد في موضع آخر من المعجم نفسه عندما أنشد للعرجي، فقال:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

فالعلاقة بينهما قوية حتى أنهما تواردا في الكثير من معاجم اللغة[91]، فالكريهة في معناها الأصلي هي كلُ ما هو مكروه، ولكن بكثرة الاستعمال تم تضييق المعنى فيها ليدل على الحرب فقط دون غيرها من الكرائه على سبيل تضييق المعنى وتخصيص الدلالة[92]، واقترن اللفظان في المعجم الوسيط: يوم كريهة، أي: الشدَّةُ في الحرب، وقد تأتي بمعنى: الوقعةُ العظيمةُ الشديدة التي تكرها النفوسُ لشدة هولها[93]، وبذلك فإن كلمة يوم في حالة الإفراد تتعد معانيها، وتحتمل أكثر من معنى، ولا تختص بمعنى واحد إلا عند تواردها مع المضاف إليه، عندها يتحدد المعنى عن طريق الإضافة التي عملت على تخصيص المضاف بالمضاف إليه، ومن ثم يتحدد المعنى ويتضح بواسطة تسييق الكلام وتركيبه؛ إذ اكتسبت كلمة يوم المعنى المحدد والدقيق عن طريق إضافتها للكلمة الأخرى (كريهة) التي أضيفت اليها، فأفادت معنى مختصًا بهذا التركيب الإضافي، وهو شدة الحرب، وكلمة (الكريهة) مفردة: اسمٌ من أسماء الحرب، ولكن بعد أن تواردت الكلمتان ببعضهما تغير المعنى المعجمي وانتقل إلى معنى جديد هو: الحرب

(87) ينظر: لسان العرب:٩/٤٧٣ ينظر: المفردات: الراغب الأصفهاني، ص٦١٤ ، ينظر: معجم الوسيط: مادة (يوم)، ص1067.

(88) معجم الوسيط: مادة (كره)، ص٧٨٥.

(89) ينظر: أساس البلاغة: الزمخشري، مادة(كره)، ص٥٧٧.

(90) ينظر: شرح المعلقات السبع: الزوزني، ص173.

(91) ينظر: تاج العروس: مادة (كره)، ص٣٨٥.

(92) ينظر: المعنى في شرح المعلقات السبع للزوزني دراسة دلالية تطبيقية في ضوء نظريات علم اللغة الحديث: ص236.

(93) ينظر: المعجم الوسيط: مادة (كره)، ص785.

الشديدة[94]، ويمكن القول: إن الكلمة المفردة قبل نظمها في تركيب ما يتعدد معناها، وتفسر تفسيرًا حرفيًا، أما بعد نظمها وتواردها مع ألفاظ أخرى، فيتحدد المعنى الدلالي ويتخصص عن طريق تواردها بألفاظ أخرى، بمعنى أن الكلمة قبل أن تتوارد مع تلك الألفاظ، كانت في حالة سكون متعددة الاحتمالات، لم تأثر أو تتأثر بغيرها، وصارت بعد تواردها بألفاظ أخرى مرتبطة مع غيرها في تركيب ما، فخلقت معنى دلاليًا جديدًا متعلقًا بسياق الكلام، وهو ما اصطلحت عليه الجماعة اللغوية[95].

2- اللفظ المحوري والمتوارد للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

إن التوارد بين كلمتي (يوم كريهة) من المتواردات الشائعة في الشعر الجاهلي، فقد توارد اللفظ المحوري (يوم) مع كلمات كثيرة في سياقات مختلفة يختلف معها المعنى من سياق إلى آخر؛ إذ توارد مع ألفاظ كثيرة منها: الكريهة، والقيامة، و حليمة، وذي قار...، فقد اكتسبت كل كلمة من هذه الكلمات مع اللفظ المحوري (يوم) معنى يختلف عن الآخر، فجاء مع الكلمة الأول بمعنى الحرب، ومع الكلمة الثانية بمعنى الحساب، ومع الثالثة بمعنى يوم من أيام العرب نسب إلى حليمة بنت الحارث الغساني ملك الغساسنة، ومع الكلمة الرابعة بمعنى المعركة الحاسمة بين العرب والفرس، ومن ثم فإن كلمة (يوم) من الكلمات التي تتوارد مع كلمات كثيرة، فهي تتمتع بمدى واسعٍ اصطلح؛ إذ يمكنها أن تجيء مع أكثر من كلمة، فتكتسب دلالاتٍ متعددةً عن طريق المتواردات اللفظية، وبهذا يتضح لنا أهمية التوارد في الجمع بين اللفظين المحوري والمتوارد، بالإضافة إلى دوره في إزالة الغموض والإبهام الذي يعتري تلك الألفاظ المتوارة[96].

3- نوع التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

أما عن نوع التوارد بين اللفظين (يوم كريهة) فهو التوارد الحر-غير المتوقع-الذي يقبل التبادل والاستبدال بين كلماته، وهذا النوع ينتج من العلاقات الرأسية بين الألفاظ، ويقع عندما ترتبط الكلمة المحورية بكلمات أخرى تسمى الألفاظ المتوارة، فنقول مثلًا: يوم الكريهة، ويوم الوغى، ويوم الوقيعة...، فالكلمات المتوارة (الكريهة – الوغى – الوقيعة) قد جاءت مضافًا إليه للمضاف(يوم)، فهو توارد حر يقبل التبادل بين ألفاظه المتوارة، فكلمة (يوم) من الكلمات التي لا يستطيع المتلقي أن يتوقع الكلمة المتوارة معها مباشرةً؛ لأنها من الألفاظ التي تتوارد مع الكثير من الكلمات، ومن ثم فإن هذين اللفظين من الألفاظ المتوارة التي تتمتع بحرية الترابط والاستبدال بين الكلمات[97].

وبذلك فإن كلمة (يوم) كلمة مبهمة؛ لأنها من الكلمات التي تتسم دلالتها بالإبهام، وتحتاج حينئذ إلى كلمة متوارة تزيل ذلك الإبهام؛ الأمر الذي يدل على أهمية التوارد في إزالة الإبهام والغموض، كما يسهم في تحديد المعنى وتوضيحه؛ لذا فإننا نجد اتساع دائرة التوارد

(94) ينظر: المصاحبات اللغوية في صحيح البخاري دراسة وصفية دلالية: ساجدة إبراهيم، ص77.

(95) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: مصطفى حميدة، ص١١١.

(96) ينظر: المصاحبة اللغوية ودلالاتها في سياق الأحاديث النبوية من خلال كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب: نصر بابكر، ص54.

(97) ينظر: المتصاحبات اللغوية وتطبيقاتها في تعليم اللغة: محمود جلال الدين، ص295.

بين الكلمات المتواردة مع كلمة (يوم)؛ لأنها من الكلمات ذات المعدل الكبير، مما يجعلنا نصف هذا التوارد بأنه توارُدٌ غيرُ متوقع؛ لأن المتلقي عند سماعه لكلمة (يوم) لا يستطيع أن يتوقع الكلمة المتواردة معه (كريهة)؛ لأنها من الكلمات التي يُستبدلُ بها غيرها في سياقاتها المختلفة[98].

ويعد التوارد بين كلمتي (يوم كريهة) من التوارد المنقطع الذي لم يستطع الاستمرار حتى وقتنا الحاضر، بل تلاشى شيئًا فشيئًا، بسبب ارتباطه القوي بحياة العرب في الجاهلية؛ إذ كانت حياتُهم حياةً حربيةً على الدوام، ولهذا فقد تراجع استعماله في العصر الحديث بسبب التطور اللغوي، والاختلاف البيئي للحياة في العصر الحديث، وهذا هو ما جعلنا نصفه بالتوارد المنقطع الذي انقطع استعماله، وصار موقوفًا على فترة تاريخية بعينها[99].

٥-العلاقات الدلالية للفظين المتضايفين (يوم كريهة):

أما عن العلاقة الدلالية التي سوغت التوارد بين اللفظين (يوم كريهة)، فهي علاقة العموم التي سوغت في تواردهما؛ إذ انتقل المدلول لكلمة (كريهة) من التعميم إلى التخصيص؛ لأن المعنى هنا اقتصر على الحرب بعدما كان لفظًا عامًا يطلق على كل شيء تكرهه النفس؛ لأن الشاعر استخدم التوارد بين اللفظين في سياق الحرب إلى جانب بعض الألفاظ التي استخدمها الشاعر دلالةً على الحرب منها: (كريهة، ضرب، طعن)؛ لأن الشاعر كان في مقام الدفاع عن قومه وافتخاره بحروبهم، وبذلك تكون الكلمة المحورية(يوم) قد تميزت بدلالة الشدة والهول يظهر ذلك من ورود كلمات تدل على الحرب، نحو: الكريهة، والضرب، والطعن، بالإضافة إلى المناسبة المعجمية التي سوغت الاقتران والتوارد بين اللفظين؛ إذ يجمعهما حقل دلالي واحد هو حقل الحرب، بينما سوغت علاقة المجاز في الجمع بين اللفظين عن طريق الكسر المعجمي الذي حدث نتيجة للانتقال الدلالي في معنى (الكريهة)؛ إذ انتقل المعنى من الحقيقة الى المجاز لتدل على اسم من أسماء الحرب، فظهر ما يسمى بالكسر المعجمي نتيجة الخروج من المعنى الحقيقي للكلمة إلى المعنى المجازي[100].

بينما أسهمت العلاقة العرفية في الجمع بين اللفظين، وسوغت في تواردهما، وبذلك أحدثت هذه العلاقة نوعًا من الترابط والتماسك بين اللفظين، ومن ثم فان هذه العلاقات الدلالية تقوم على فكرة التوليد الدلالي التي تجمع بين لفظين لإنتاج مركب جديد يحمل دلالةً جديدة، ربما لا تتكون من كل لفظة على حدة، وهو ما يمثل الجانب الإبداعي في اللغة(101)، ومن ثم أصبحت الألفاظ المتواردة بفضل هذه العلاقات الدلالية مرتبطةً ببعضها، وكأنها سلسلةٌ من الحلقات

(98) ينظر: المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم: حمادة الحسيني، ص415.

(99) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي: محمد العبد، ص77.

(100) ينظر: الحقول الدلالية في شعر لبيد بن ربيعة دراسة نظرية تطبيقية: زينب زيادة، ص٧٩٤، وينظر: العلاقة الدلالية بين المتضايفين بين التوليد والتأويل في ضوء النظريات اللغوية الحديثة من خلال ثمار القلوب للثعالبي: عطية سليمان أحمد، ص١+٢.

(101) ينظر: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: كريم زكي، ص54.

المتماسكة التي إذا انتُزِعَت حلقة منها اختلَ ذلك التماسك والترابط بين تلك الألفاظ[102].

٦-البيئة ودورها في توارد اللفظين المتضايفين (يوم كريهة):

كانت العرب تسمي حروبهم أيامًا؛ لأنهم كانوا يتحاربون نهارًا فإذا جاء الليل أوقفوا القتال حتى يخرج الصباح، وحروبُ العرب وأيامهم كثيرةٌ جدًا، فهي مصدر خصب من مصادر التاريخ، وينبوع صافي من ينابيع الأدب من شعر ونثر، ومن أيامهم يوم الكريهة الذي وظفه الشاعر الجاهلي في سياق حديثه عن الحرب وقسوتِها، وبما أن الشاعر لسان قومه، فقد نقل هذا التوارد من بيئته الجاهلية، التي كان لها الأثر الكبير في تكوينه[103]. وسنقف على تحليل هذا التوارد بالشكل الآتي:

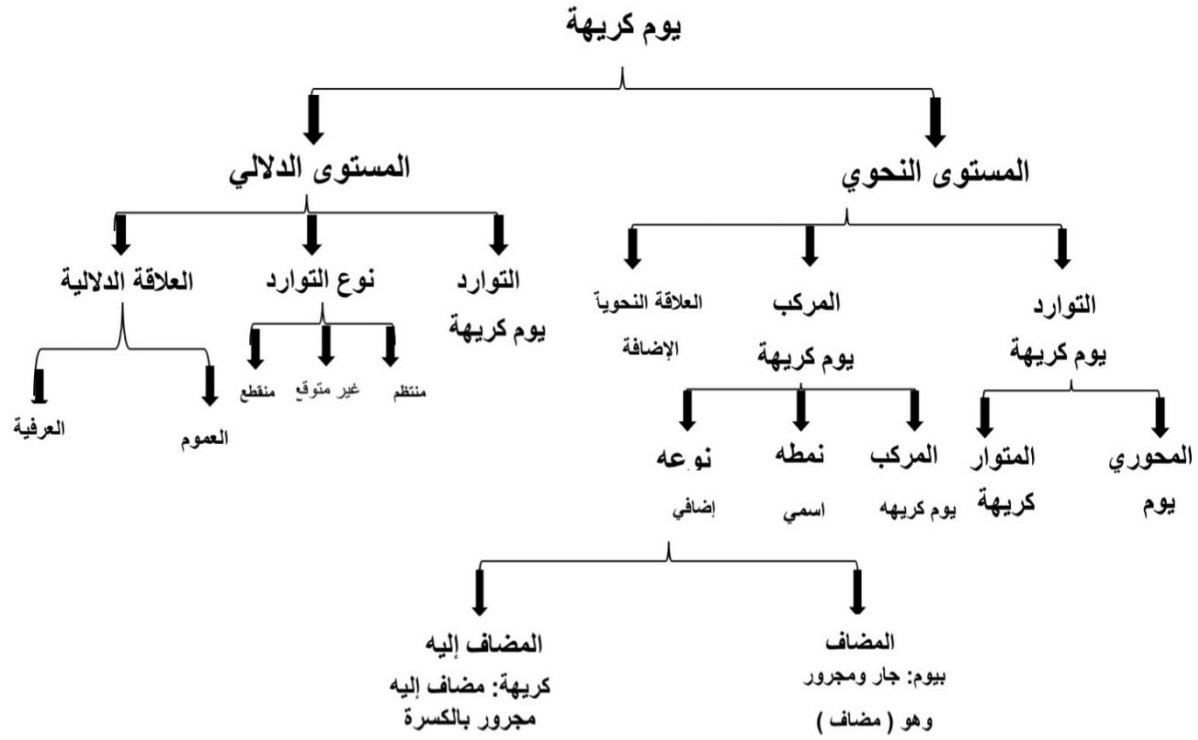

(102) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ص١٣٢.

(103) ينظر: أيام العرب وأثرها في الجاهلية: منذر الجبوري، ص٩٤.

المبحث الرابع:

التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (ندامة الكسعي)

المطلب الأول: المستوى النحوي للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

في قول الشاعر من الوافر[104].

ندمتَ ندامَةَ الكُسَعِي لما

رأتْ عيناكَ ما صَنَعَتْ يَداكا

1- التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي) وتوظيف الشاعر له:

وظَّف عدي بن أوس بن مرينا هذا التركيب الإضافي (ندامة الكسعي) في سياق هجائه لعدي بن زيد العبادي، ولهذا بدأت العداوة بين عدي بن مرينا وعدي بن زيد، وهذا العداءُ بينهما ليس جديدًا، بل كانت العداوةُ بين الأسرتين قديمةً، فقد كانتا قوتين متصارعتين في الحيرة، عند ذلك بدأ عدي بن مرينا يحيك الحيل والمكائد لعدي بن زيد عند النعمان بن المنذر، وهجا كلٌ منهما الآخر، ومن ذلك هجاء عدي بن مرينا لعدي بن زيد مهددًا له ومتوعدًا، فقال:[105].

ألا أبلغْ عديًا عن عديٍ

فلا تجـزعْ وإن رثَّت قُواكـا

فإن تظْفَرْ فلم تظفرْ حميدًا

وإن تعطَبْ فلا يَبعُدْ سِواكا

ندمتَ ندامة الكُسَعِي لما

رأتْ عيناكَ ما صَنَعَتْ يَداكا

ومنذ ذلك الحين وعدي بن مرينا يتوعد ويتهدد عدي ين زيد، ويعمل في الوقت نفسه على شحن قلب الأسود بن المنذر بالحقد ويحثه على النيل منه جزاءَ مكره و خداعه[106].

2- إعراب اللفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

استعمل في هذا التوارد المركب الإضافي (ندامة الكسعي) الذي تكوَّن من المضاف (ندامة) والمضاف إليه (الكسعي) اللذان يعدان بمقام الشيء الواحد الذي يدل على معنى واحد، وهو شدة الندامة على الشيء الذي يُفرط في حقه، وهو لا يستحق التفريط، ولِمَا بين الكلمتين من تلازم قوي ضُرب بهما المثلُ، وصارا من الأمثال المشهورة (ندامة الكسعي)، وذلك عندما ندم على كسر قوسه، ولشدة ندمه على ذلك القوس عض إبهامَهُ حتى قطعها، وتمنى بعد ذلك لو أنه قطع بنانه الخمس، فقال:

ندمتُ نَدَامَةً لو أنَّ نَفْسِي

تُطاوِعُني إذًا لَقَطَعْتُ خَمْسِي

فضُرب به المثل في الندامة، فقيل: أندمَ من الكسعي[107].

ومن ثم فإن عض الإبهام كنايةٌ عن الندم، وقد أكد الشاعر هذهِ الدلالةَ بكلمة (ندامة)، ومن ثمة يكون الفعل (ندم) دالًا على هذا المعنى الذي يفيد إلى جانب الندم التحير والقلق الذي يجعله لا يدري ولا يعي ما يفعل، فيلجأ إلى عض إبهام يده، وفيه كناية عن شدة الندم[108].

(104) الأغاني: الأصفهاني، ٢١/٣.

(105) ينظر: الأغاني: الأصفهاني، 21/3.

(106) نفسه: 23/3.

(107) ينظر: المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري، ٣٨٩/١.

(108) ينظر: الصورة الشعرية عند شعراء الصنعة في الجاهلية والإسلام: ياسر رضوان، ص32.

فارتبط ندمُهُ بقطع أُصبُعِهِ وذهب مثلًا (ندمتُ ندامةَ الكسعي)، والكسعي هو رجل من كُسع، وهي قبيلة منسوبة إلى اليمن، واسمه مجاور بن قيس، فذكره الشعراء في قصائدهم، وجعلوه للندم الشديد المرتبط بفعل الشخص لشيء عظيمٍ يندم عليه، ويلوم نفسَهُ بالندم المصاحب للشعور بالذنب[109].

وقد وظف الشاعر التوارد في المركب الإضافي الذي يتكون من المضاف (ندامة)، والمضاف إليه (الكسعي)، وجعل العلاقة بين المضاف والمضاف إليه هي التي تقوم على الربط بين الكلمتين المتضايفتين لإنتاج مركبٍ اسمي جديدٍ نتج عن طريق التركيب بين الكلمتين، حينئذ لم يكن بمقدور الكلمة في حالة الإفراد أن تأتيَ بهذا المعنى الجديد، لولا تسييق الجملة وتركيبها، وبذلك قام المركب الإضافي بإبداع دلالةٍ جديدة تعجز عن إيجادها الكلمةُ المفردة[110].

وبذلك فإن المركب الإضافي من نوع المضاف النكرة الذي أضيف إلى اسم علم، وقد تكوَّنَ من المضاف والمضاف إليه، أي من (ندامة الكسعي)؛ إذ أعرب المضاف أولًا بحسب موقعه في الجملة؛ إذ جاء مفعولًا مطلقًا للفعل (ندم)، وهو مضاف، وجاء بعده المضاف إليه الكسعي، فشكلا توارُدًا لفظيًا يبدو أثرُه واضحًا في إبراز المعنى، عندما جاء على صورة المضاف والمضاف إليه، فلما كان المضاف (ندامة) مبهمًا، ويحتاج إلى كلمة تزيل عنه ذلك الإبهام والغموض توارد مع المضاف إليه (الكسعي)، فأزال عنه ذلك الإبهام والغموض، ومن هنا يظهر لنا دورُ التوارد اللفظي في تحديد وتوضيح المعنى عن طريق التركيب الإضافي الذي أسهم هو الآخرُ في إتمام الفكرة وإبانته للمعنى[111].

وقد أشار أصحاب المنهج الوظيفي إلى أن عناصر اللغة مجتمعة تُسهم في أداء الفكرة التي يريدُ المتكلمُ توصيلها، وهم يُشيرون بذلك إلى التضام بما فيه التوارد اللفظي، والرصف، والمصاحبة، فانه من غير الممكن أن يستقلَّ عنصرٌ لغوي بأداء هذه الوظيفة خارج نطاق التركيب وسياق الكلام[112].

وبما أن الغرض من الإضافة هو النسبة، فعندما نقول: ندامة الكسعي، فليس المراد من ذلك سوى نسبة الأول إلى الثاني، أي نسبة المضاف (ندامة) إلى المضاف إليه (الكسعي)، وهذه النسبة تسهم في الربط بينهما، وتجعلهما كالكلمة الواحة، وهو ما أشار إليه النحويون إلى أنه في حالة إضافة الاسم المفرد إلى اسم مفرد مثله، فإنه يصير الثاني من تمام الأول، ويصيران جميعًا اسمًا واحدًا، فيصبح بينهما ارتباطٌ قوي يوجب أن يكتسب الأولُ (المضاف) من الثاني (المضاف إليه) بعضَ سماته، كالتعريف والتخصيص وهي سمات يكتسبها بواسطة نسبته إلى الثاني، وبذلك فإن المضاف (ندامة) قد اكتسب التعريف بإضافته إلى اسم علم هو (الكسعي)، ولذا فإن بين اللفظين المتضايفين تلازم قوي؛ لأن المضاف من الأسماء التي تلازم المضاف إليه على الدوام، باعتبار أنَّ هذا

(109) ينظر: الأغاني: الأصفهاني، ص400/2، وينظر: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية: أبو البقاء هبة الله الحلي، ٣٨٨/١.

(110) ينظر: الإبداع الدلالي في المتضايفين بين البنية التصويرية والبنية العصبية: عطية سليمان، ص83

(111) ينظر: الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة نحوية دلالية إحصائية: ص50.

(112) ينظر: التراكيب النحوية بين الشكلانية والوظيفية: خليل غازي، ص88.

المركبَ من نوع التوارد المنتظم المتعلق بالأمثال العربية التي لا يمكن أن تُستبدل كلماتُها، كما يرفض التوارد أيضًا استبدالَ ألفاظه، ما يبين لنا مدى العلاقة التكاملية بين المستويين النحوي والدلالي[113]، ومن ثم فقد نشأت علاقة الارتباط بين المضاف والمضاف إليه بلا واسطة بينهما، أي: بدون أن يَفصلَ بينهما فاصل، وهو ما أشار إليه (بروكِلمان) بقوله:" المضافُ والمضافُ إليه يرتبطان بعضُهما ببعضٍ ارتباطًا وثيقًا، يكادُ يُحيلُهما في بعض الأحيان كلمةً واحدة"[114].

3- العلاقة النحوية الرابطة بين اللفظين المتواردين (ندامة الكسعي):

إن العلاقة النحوية الرابطة بين طرفي الإضافة هي علاقة الإضافة التي لاءمت بين المضاف (ندامة)، والمضاف إليه (الكسعي)، وأسهمت في ربط الأول بالثاني، وجعلتهما بمنزلة الشيء الواحد، بالإضافة إلى العلاقة التلازمية الجامعة بين اللفظين؛ إذ إن بينهما تلازمًا مدمجًا يدل على شدة الارتباط بين الكلمتين؛ إذ لا يقعان منفصلين في التركيب، ولا يوجد فاصل بينهما، ومن ثم فقد أسهمت هاتان العلاقتان بشكل لافت في سبك وتماسك اللفظين، والربط بين طرفي الإضافة، علاوةً على إسهامهما في توضيح المعنى وتثبيته[115].

المطلب الثاني: المستوى الدلالي للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

1- التوارد المعجمي للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

أما التوارد المعجمي بين لفظتي (ندامة الكسعي)، فقد ذكرته الكثير من المعاجم اللغوية منها أساس البلاغة الذي ورد فيه ما نصه:" ندم على الأمر ندمًا وندامةً، وتندَّمت، وندَّمني عليه كذا، وأنا نادم ومتنِدّم، وتقول: من خلف رأي الألمعي، ندم ندامة الكسعي"[116]، وجاء في لسان العرب ما نصه:" نَدِمَ على الشيءِ وَنَدِمَ على ما فَعَلَ نَدَمًا ونَدَامةً وتندَّمَ: أَسِفَ، ورجُلٌ نادِمٌ سادِمٌ، أي نادِمٌ مُهْتَمٌّ"[117]، وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة ما نصه:" نَدِمَ يَندَم، نَدَمًا ونَدَامةً، فهو نادمٌ وندمانُ، وندِمَ الشخصُ على ما فعل: أسِف وحَزِن[118].

أما عن اللفظ المتوارد (الكسعي)، فقد ذكرته بعض معاجم اللغة منها أساس البلاغة الذي جاء فيه:" كسعه: ضربه بيده أو برجله على دبره، وكسع الناقة بغبرها: ضرب أخلافها بالماء البارد ليترادَّ اللبنُ في ظهرها فيكون أشدَّ لها، واتَّبعَ آثارهم يكسعهم بالسيف، ويكسع أدبارهم، وتقول: من خلف رأي الألمعي، ندم ندامة الكسعي [119]، وجاء في لسان العرب ما نصه:" الكَسْعُ: أن تَضْرِبَ بِيدِكَ أو بِرِجلِكَ بِصَدْرِ قَدَمِكَ على دُبُرِ إنسانٍ أو شيءٍ، والكُسَعُ: هم حيٌّ من اليمن رُماةٌ، ومنهُمُ الكُسَعِيُّ الذي يُضربُ به المثلُ في الندامَةِ، وهو

(113) ينظر: المقتضب: المبرد، ١٤٣/٢.

(114) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: مصطفى حميدة، ص١٦٩.

(115) ينظر: العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب رياض الصالحين أنموذجًا: سليمة عياض، ص180.وينظر ثمار القلوب:114.

(116) أساس البلاغة: مادة (ندم)، الزمخشري، ص٩١٠.

(117) لسان العرب: مادة (ندم)، ابن منظور، ص4386.

(118) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (ندم)، أحمد مختار عمر، ص2187.

(119) أساس البلاغة: مادة (كسع)، الزمخشري، 406/1.

رجلٌ رامٍ رمَى عَيْرًا فأصابَهُ، وظنَّ أنه أخطأه فَكَسَرَ قوسَهُ، ثم ندِمَ من الغَدِ حينَ نظرَ إلى العَيْرِ مقتُولًا، فَصارَ مثلًا لكلِ نادِمٍ على فِعْلٍ يَفْعَلُهُ[120]. وجاء في المعاجم اللغوية الحديثة ما نصه: " كسَعَ فلانًا كَسْعًا: ضرب مؤَّخرَهُ بيده أو بصدْر قدمه، ويقالُ: وردت الخيْلُ يكسَعُ بعضُها بعضًا"[121].

وبشيء من التأمل نلاحظ أن الألفاظ المعجمية للكلمة المفردة لا تؤدي معنى؛ لأنها لا تمتلك وظيفةً سياقية، ومن ثم فإن كل عنصر معجمي لا يمكن له أن يؤسس علاقة اتساق؛ لأنه لا يحمل أي إشارة إلى الاتساق، عندئذ يأتي دور التوارد في توضيح المعنى الدلالي وتحديده، عن طريق توارد الكلمات بعضها ببعض؛ الأمر الذي يقودنا إلى أن الكلماتِ المفردة لا تؤدي معنى في ذاتها، ولكن يتحصل المعنى بواسطة تسييقها في تراكيب معينة، فالتوارُدُ بين المركب الإضافي (ندامة الكسعي)، لا يمكننا معرفة المعنى الدلالي من كل لفظة على حده؛ لأن هذه الوحدة الدلالية تتجاوز التفسير المعجمي الحرفي، وإذا أردنا معرفة معناها فلا يمكن الحصول عليه بواسطة معناها المعجمي الحرفي، فالكلمةُ المحورية (ندامة) تأتي بمعنى حزن، وأسف، في حين تأتي الكلمة المتواردة (الكسعي) بمعان أخرى تدل غالبًا على ضرب مؤخرة الإنسان والحيوان، لكننا عندما استخدمنا التوارد بين الكلمتين: ندامة الكسعي، دلت على معنى آخر، غير المعنى المعجمي الحرفي، فعندما توارد اللفظان ظهر معنى دلالي جديد: هو وصفُ أسوء حالٍ يصل إليه المرء عند الندم بفعله لشيء عظيم يندم عليه ندامةً ترتبط بقطع بعض أعضائه، وهذا ما لا نجده في المعنى المعجمي الحرفي لهذا التوارد المرتبط بمَثَلٍ من الأمثال العربية المشهورة[122].

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أهمية الأمثال العربية المشهورة التي تُعدُ من ضمن المتواردات اللفظية التي تتمتع بخاصية الثبات؛ لأنه لا يمكن أن يتصرف بها المتكلم تصرفه بالتوارد اللفظي، فلا يمكن التصرف في الأمثال لا في الإعراب ولا في الإسناد، وسيبقى المثل وحدةً واحدةً لا تتجزأ؛ لأن الأمثال قيلت في مرحلة تاريخية معينة وثبتت على هذه الصورة بهذه الألفاظ، فلا يجوز لنا أن نتصرف فيها، ولكن نوردها كما وردت إلينا، والمثل لا يفهم الا بالرجوع إلى السياق الخارجي الذي قيل فيه، يعنى المناسبة التي قيل فيها، فلا يكفي معرفتُه عن طريق المعنى المعجمي فقط، بل نحتاج الى معرف الأحوال المحيطة بالمثل التي أسهمت في انتاجه وتداوله بين الناطقين باللغة[123].

2- اللفظ المحوري والمتوارد للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

وبما أن التركيب الإضافي بين اللفظين قد استوفى شرطي الملاءمة النحوية والتآلف الدلالي، فقد قُدِّمَ في شكل توارد لفظي يتكون من لفظ محوري (ندامة) وآخر متوارد (الكسعي)، وهذان اللفظان متلازمان؛ إذ لا يستطيع اللفظ الواحد منهما أن يؤدي المعنى الدلالي الجديد الناتج من توارد اللفظين، مما يدل على مدى التلازم القوي بينهما، حتى أن اللفظ المحوري لا يطلب

(120) لسان العرب: مادة (كسع)، ابن منظور، ص3876.

(121) المعجم الوجيز: مادة (كسع)، ص534.

(122) ينظر: المظاهر النصية في المصاحبات اللفظية المعاصرة: عماد محمد محمود، ص90.

(123) ينظر: معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية: كمال خلايلي، مقدمة الكتاب.

من الألفاظ المتواردة سوى كلمة (الكسعي)، بوصفها الكلمةَ التي يطمئن إليها، ويتجاور معها، فالعلاقة بينهما قوية؛ إذ لا يستطيع اللفظ المفرد منهما أن يعيش بمفرده، لعلاقة قوية بينهما، كعلاقة الروح بالجسد، ومن ثم فإن اللفظ المحوري (ندامة) عادةً ما يتوارد مع كلمة (الكسعي) تواردًا ضروريًا أي: أن ذكر أحدهما يستدعي بالضرورة ذكرَ الآخر[124].

3- نوع التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

إن التوارد بين اللفظين (ندامة الكسعي) توارد منتظم ومتوقع ألفت العرب سماعه، ودرجة على استعماله؛ إذ يستدعي كل لفظ منهما الآخر في جميع السياقات، فلا يمكننا استبدال واحد منهما بغيره؛ الأمر الذي يدل على ثبات الأمثال العربية على حال واحد، فلا يمكننا التدخلُ فيها بتقديم أو حذف أو استبدال، وهو ما يتفق كذلك مع التوارد المنتظم الذي لا يقبل هو الآخر الاستبدال بين ألفاظه، وهو توارد متوقع في ذهن المتلقي، فعند ذكر اللفظ المحوري (ندامة) عادة ما يستحضر ذهنُه اللفظ المتوارد (الكسعي) مباشرة؛ الأمر الذي يكشف لنا عن مدى التلازم القوي بين اللفظين المتواردين[125].

ويعد هذا التوارد (ندامة الكسعي) من المتواردات المستمرة التي ما زالت على حالها حتى اليوم؛ إذ تناقلتها الألسن جيلًا بعد جيل حتى وصلت إلينا كما هي؛ لأن هذا التوارد من الأمثال التي قيلت في موقف معين، فأصبحت جزءًا من أدبِ وتراثِ هذه الأمة، وهو من الألفاظ التي تستعمل في مقام واحد هو مقام الندم الشديد الذي يُورثُ الحسرة والندامة لفعله، ومن ثم فإنه من الألفاظ الشائعة التي اشتهرت على ألسنتهم قديمًا وحديثًا [126].

5-العلاقات الدلالية للفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

أما عن العلاقة الدلالية المسوغة في توارد اللفظين (ندامة الكُسَعِي)، فهي علاقة العموم والخصوص التي ربطت بين اللفظ المحوري (ندامة)، والمتوارد (الكسعي)، باعتبار أن اللفظ المحوري هو لفظ عام وشامل لكل فعل يؤدي إلى الندم؛ لذلك فقد جاء مبهمًا نكرة ليدُلَ على العموم، بينما يأتي اللفظ المتوارد (الكسعي)، فيعمل على إزالة ذلك الإبهام والغموض بواسطة توارده باللفظ المحوري، ومن ثم يسهم في إتمام الفكرة وتوضيح المعنى، بالإضافة إلى علاقة التلازم التي أسهمت في الجمع بين اللفظين، وسوغت في تواردهما، بينما كان للعلاقة الاتصالية والعرفية دورهما البارز في توارد اللفظين وانسجامهما، وبذلك أسهمت هذه العلاقات الدلالية في الربط والارتباط بين اللفظين المتواردين، وعملت على تحديد الملامح الدلالية لمعنى كلِ كلمة منهما[127].

وعليه يمكن القول: أن هذه العلاقات الدلالية قد أدت دورًا بارزًا في تحديد دلالة المركب الإضافي، لذا تصبح هذه العلاقاتُ الرابطَ بين المتضايفين، كما

(124) ينظر: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: كريم زكي، ص43.

(125) ينظر: المتصاحبات اللغوية وتطبيقاتها في تعليم اللغة العربية: محمود جلال، ص295.

(126) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي: محمد العبد، ص77.

(127) ينظر: المصاحبة اللفظية ودورها في التماسك النصي: تهاني الغموي، ص16.

يمكن بواسطتها إعادة تصنيف المعاني المكوِّنة للمتضايفين في شكل علاقات جديدة تربط بينهما، لتدل على النمو الفكري، والتطور اللغوي عند أبناء هذه اللغة[128].

6- البيئة ودورها في توارد اللفظين المتضايفين (ندامة الكسعي):

كان للبيئة الجاهلية أثرُها في الأمثال العربية المتواردة؛ إذ وظفها الكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، واستعملوها في أشعارهم؛ لما لها من قيمة تاريخية تشكل جزءًا من الفنون الأدبية التي توارثتها الأجيال جيلًا بعد جيل، فتعكس تلك الأمثال البيئة الاجتماعية المعاشة، والحياة الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، وقد وظف الشاعر الجاهلي المثل المتوارد (ندامة الكسعي) تمثيلًا إيجابيًا واستدل به على كل نادم يندم على ما جنتْه يداه، فعكس بواسطته الواقعَ المعاش لذلك المثل وتلك الحادثة، ومن ثم فإن للبيئة دورًا كبيرًا في تكوين المتواردات اللفظية التي اشتهرت وشاعت في العصر الجاهلي[129]. وسنقف على تحليل هذا التوارد بالشكل الآتي:

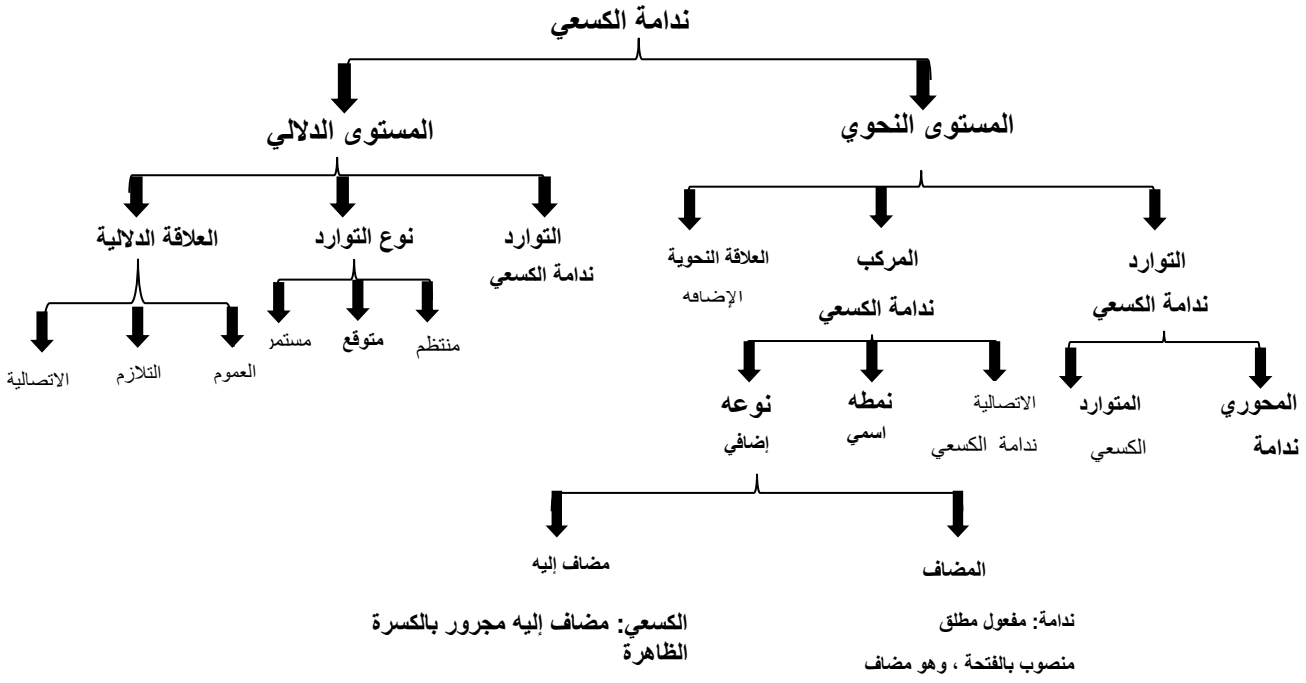

(128) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، ص٢٦٨.

(129) ينظر: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت: سناء أحمد، ص51.

المبحث الخامس:

التوارد اللفظي بين اللفظين المتضايفين (حتف أنفه)

المطلب الأول: المستوى النحوي للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

في قول الشاعر من الطويل[130].

وما ماتَ منا سيدٌ حَتفَ أنفِهِ ولا طُلَّ مِنَّا حيثُ كانَ قتِيلُ

1-التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (حتف أنفه) وتوظيف الشاعر له:

وظف الشاعر التوارد اللفظي في مركب إضافي يتكون من المضاف والمضاف إليه (حتف أنفه)؛ إذ جمع الشاعر بين اللفظين المتواردين في سياق فخره بشجاعة قبيلته، فيقول: ليس فينا سيدٌ مات على فراشه، بل إنهم يموتون في ساحة الحرب قتلًا تحت ظلال السيوف، دلالةً على إقدامهم وشجاعتهم، ووصف الشاعرُ شدةَ بأسهم والنيلَ من أعدائهم، فهم لا يتركون قتيلهم بل يأخذون بثأره، ولا يجعلون دمه يذهب هدرًا، وعليه فإن من عادات العرب في الجاهلية أن تفخر وتمدح بالموت قتلًا، فهو عز وعلامةٌ للبطولة، وتنظر لمن يموت على فراشه نظرةً دونيةً؛ لأنه ذلٌ وديدنُ الجبناء، ولهذا كان توظيف الشاعر لهذا التوارد في سياق فخره بشجاعة قبيلته توظيفًا سلبيًا؛ لأنه استخدم الألفاظ التي تبعث على سبك الدماء وتدعو إلى الأخذ بالثأر والنيل من العدو بأي طريقة كانت كما يرى[131].

وقد استعمل الشاعر التوارد اللفظي (حتف أنفه) في مركب إضافي من النمط البسيط يدل بواسطته على أنهما كالشيء الواحد؛ لأن المضاف والمضاف إليه يدلان على الشيء الواحد، كما يرى علماء اللغة؛ الأمر الذي يدل على مدى الملازمة القوية بين اللفظين، وهذه الملازمة هي التي جعلتهما من الألفاظ المشهورة والشائعة بين أبناء اللغة قديمًا وحديثًا[132].

2- إعراب للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

إن التوارد في المركب الإضافي قد تَكُّون من المضاف (حتف) الذي أُعرب بحسب موقعه في الجملة، فورد مفعولًا مطلقًا نائبًا عن المصدر؛ لأنه مرادفه فالفعل مات من الموت، والحتف هو بمعنى الموت، وكأنه أراد أن يقول: ماتَ مَوتَ أنفه، بمعنى أن هذا الاسمَ (حتف) ليس له فعلٌ مستعمل، بينما أُعربت كلمة (أنفه) مضافًا إليه مجرورًا بالكسرة الظاهرة، وبذلك فقد تكوَّن هذا التركيب من المضاف (حتف)، والمضاف إليه (أنفه)، فأنتجا مركبًا إضافيًا من النمط البسيط، حتفَ أنفِهِ، ومن ثم ربطت هذه العلاقة النحوية (الإضافة) بين اللفظين، وجعلت من المضاف والمضاف إليه كلمةً واحدةً، وساهمت عن طريق الإعراب في توضيح المعنى؛ إذ يُعد الإعراب فرعًا من المعنى[133].

وبما أن الغرض من الإضافة هو النسبة، فعندما نقول: حتف أنفه، فليس المراد من ذلك سوى نسبة الأول إلى الثاني، أي: نسبة المضاف (حتف) إلى المضاف إليه

(130) ديوان السموأل: ص91.

(131) ينظر ديوان السموأل: ص٩١. وينظر: الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهلية، حياتهم وأشعارهم، عصام عبدالفتاح، ص١٤٦.

(132) ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٢٥/١.

(133) ينظر: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: محمد داود، ص483.

(أنفه)، وهذه النسبة تسهم في الربط بينهما، فتجعلهما بمنزلة الشيء الواحد، أو الكلمة الواحدة، وهو ما أشار إليه النحويون أن في حالة إضافة الاسم المفرد إلى اسم مفرد مثله، فإنه يصير الثاني من تمام الأول، ويصيران جميعًا اسمًا واحدًا، فيصير بينهما ارتباطٌ قوي يوجب أن يكتسبَ الأولُ (المضاف) من الثاني (المضاف إليه) بعضَ سماته، كالتعريف والتخصيص، وهي سمات يكتسبها بواسطة نسبته إلى الثاني، وبذلك فإن المضاف (حتف) قد اكتسب التخصيص بإضافته إلى اسم آخر هو المضاف إليه (أنفه)، ولذا فإن بين اللفظين المتضايفين تلازمًا قويًا؛ لأن المضاف من الأسماء التي تُلازم المضاف إليه على الدوام[134].

وبذلك فإن التوارد في المركب الإضافي (حتف أنفه) قد تشَّكل من المضاف (حتف) والمضاف إليه (أنفه)، فأسهما في تشكيل التوارد بين اللفظين، وهو بدوره شكَّل وحدة دلالية واحدة، تختلف عن المعنى المعجمي، لتؤدي معنى دلاليًا جديدًا، يكون نتيجةً طبيعية لتوارد اللفظين مع بعضهما"[135]، ومن ثم فإن بين المضاف والمضاف إليه علاقةً قوية أدركها النحاة حتى أنهم وصفوا تلك العلاقةَ بقولهم: "المضاف والمضاف إليه، يتطلب أحدهُما الآخر"[136].

3- العلاقة النحوية الرابطة بين اللفظين المتواردين (حتف أنفه):

أما عن العلاقة النحوية التي أسهمت في الجمع بين اللفظين، فهي العلاقة الإضافية التي عملت على تلاؤم اللفظين وتواردهما بعضهما ببعض؛ إذ جمعت هذهِ العلاقةُ بين المضاف (حتف) والمضاف إليه (أنفه)، وجعلت منهما وحدة دلالية تؤدي معنى دلاليًا جديدًا، وبذلك أحدثت هذه العلاقةُ ربطًا وتماسكًا بين اللفظين، حتى صار الثاني من تمام الأول، وصارا جميعًا اسمًا واحدًا أسهم في توضيح المعنى وإتمام الفكرة المقصودة، بالإضافة إلى الظرفية المكانية التي حددت مكان الموت عن طريق المحدد المكاني المتمثل بالمضاف(حتف)، والمضاف إليه (أنفه) الذي حدد المعنى الدلالي الجديد، وهو الموت على فراشه، عندها تعينَ تحديدُ المكان من خلال المعنى الدلالي، وبذلك فان بين اللفظين المتواردين إضافةً مباشرة؛ إذ ارتبطت الكلمة الأولى بالثانية، وقيدت الثانيةُ منهما الأولى، ومن ثم فإننا ننسب اسمًا بسيطًا إلى اسم عن طريق إضافته مباشرةً [137].

وعليه فإن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه قويةٌ جدًا، حتى لكأنها تمثل صدرَ الكلمة وعجزَها دون واسطة؛ لما بينهما من اتصال ووصلٍ قويين يصعب الفصلُ بينهما، وهذا الاتصال القوي لا يتجلى نحويًا فقط، وإنما دلاليًا أيضًا، بمعنى أن العلاقة الإضافية تخلق تواردًا منتظمًا، ليخلق هو الآخرُ وحدةً دلاليةً واحدة، ومن ثم فإن العلاقات النحوية قد أسهمت بشكل لافت في تماسُكِ الألفاظ على مستوى المفردة والجملة والنص[138].

(134) ينظر: الكتاب: 62/1.

(135) ينظر: المصاحبة اللفظية في كتاب متخير الألفاظ لابن فارس: زينب عبد الرحمن، ويحيى عبابنة، ص236.

(136) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص218.

(137) ينظر: العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب رياض الصالحين أنموذجًا: سليمة عياض، ص183.

(138) ينظر: الخصائص: ابن جني، 390/3، وينظر: أثر العلاقات النحوية والدلالية في تماسك النص القرآني: زبيدة ساسي، ص١٧.

المطلب الثاني: المستوى الدلالي للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

1- التوارد المعجمي للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

إن التوارد المعجمي بين اللفظين (حتف أنفه) قد توارد في الكثير من المعاجم اللغوية، إلا أن الكلمة المحورية (حتف) قد جاءت في أساس البلاغة بمعنى: الموت، والحتوف جمع، وهو مصدر لكلمة الحتف(139)، ووردت الكلمة في لسان العرب ما نصه:" الحَتْفُ: الموتُ، وجَمْعُهُ حُتُوفٌ، ولا يُبنى منه فِعلٌ، وقولُ العربِ: ماتَ فلانٌ حَتْفَ أَنفِهِ أي بِلا ضربٍ ولا قتلٍ، وقيلَ: إذا ماتَ فَجأَةً، نُصبَ على المصدرِ كأنهُمْ توهموا حَتَفَ وان لم يكنْ له فِعْلٌ"(140)، وجاء فيه أيضًا: ماتَ حَتفَ أنفِهِ، بمعنى: ماتَ على فراشه، وهو رأي ابنِ الأثيرِ، والأزهري(141).

وجاءت كلمة حتف في معجم اللغة العربية المعاصرة ما نصه:" حَتْفَ مفردٌ جمعُه حتوفٌ: هلاك، موت، ومات حَتفَ أنفِهِ: مات على فراشه بصورة طبيعية، من غير قتل أو حرق"(142)، أما الكلمة المتواردة (أنفه)، فقد جاءت في المعاجم اللغوية ما نصه:" امرأة أنوف: طيبة الأنف، ومن المشتق منه: فيهم أَنَفَةٌ وأَنَفٌ، وفلان يتبع أنفه: أي: يتشمم"(143).

وفي معجم لسان العرب:" الأنفُ: المنخرُ معروفٌ، والجمعُ آنُفٌ وآنافٌ وأُنُوفٌ"(144)، وفي المعجم الوجيز جاءت الأنف بمعنى: " عضو التنفسِ والشَّمِ، وشَمَخ بأنفه: تكبر، ورَغِم أَنفُهُ: ذَلَّ، وماتَ حَتفَ أنفِه: من غير قتل، وجمعُهُ: أُنُوفٌ، وآنافٌ"(145).

ومنهم من جعل هذا التوارد من الأمثال العربية فقالوا:" فلانٌ ماتَ حَتفَ أنفِهِ، وحتف فيهِ أي: مات ولم يقتل، وأصلُهُ أن يموتَ الرجلُ على فراشه فتخرجُ نفسُهُ من أنفه وفمه"(146).

وبذلك يتبين لنا ما للتوارد من دور كبير في ترابط العناصر المعجمية عن طريق تواردها في سياقات مختلفة، وإن كانت هذهِ السياقاتُ متباعدةً، إلا أن الارتباط الحاصل بين الكلمتين كالحبل الوثيق الذي يربط بين الكلمات، وهذا الارتباط لا يكون إلا عن طريق توارد الألفاظ بعضِها ببعضٍ في سياق ما، وهو نادرُ الوقوع في المعاجم اللغوية؛ لأنها تتناول الكلماتِ مفردةً ومنعزلةً عن سياق الكلام؛ لذا لا يفهم المعنى الدلالي لهذه الكلمات؛ لأنها تُفسرها تفسيرًا حرفيًا، ومن ثمَّ لا يُفهم معناها بفهم معنى الألفاظ المفردة المكونة لها، وإنما تُفهم بواسطة العرف والثقافة العامة للمجتمع، وب ما اصطلحت عليه الجماعةُ اللغوية، ومن ثم فإن هذا المعنى يختلف عن المعنى الحرفي أو المعجمي للألفاظ المكونة له؛ الأمر الذي يدل ما للتوارد اللفظي من أهمية في تحديد المعنى الدلالي المرتبط بسياق الكلام، فالتواردُ بين كلمتي (حتف أنفه) ينماز عن غيره بأنه وحدةٌ دلاليةٌ واحدة لا تنفصل عن

(139) ينظر: أساس البلاغة: الزمخشري، 75/1.

(140) لسان العرب: مادة (حتف)، ابن منظور، ص770.

(141) نفسه: ص770.

(142) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (حتف)، أحمد مختار عمر، ص441.

(143) أساس البلاغة: مادة (أنف)،١٢/١.

(144) لسان العرب: مادة (أنف)،ص151.

(145) المعجم الوجيز: مادة (أنف)، ص28.

(146) معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة: محمد بن حسن الشريف، ص80.

بعضها؛ لذلك فإنها تتجاوز التفسيرَ المعجمي الحرفي إلى المعنى الدلالي الذي اصطلحت عليه الجماعة اللغوية[147].

وبذلك لا نستطيع معرفةَ المعنى الدلالي بواسطة التفسير المعجمي لهذا التوارد (حتف أنفه)، كما أنه لا يمكن استبدالُ لفظٍ منه بلفظٍ آخر؛ لأن المتلقي يشعر بخلخلة في النظام اللغوي الذي تواتر عليه هذا التوارد بهذا الشكل، فنفهم من هذا أن التوارد اللفظي قائم على سلسلة من الكلمات التي تُقيدُها عواملُ دلاليةٍ وتركيبية تجعل منها وحدةً دلاليةً جديدةً، وبذلك يكون الكشفُ عن المعنى الدلالي عن طريق التوارد أفضلَ من المعنى إذا استخدمناها بدلالتها المعجمية، فعندما نقول: مات حتف أنفه، بمعنى: مات على فراشه موتًا طبيعيًا، والمعنى المعجمي لهذه العبارة يختلف عن المعنى الدلالي؛ إذ تأتي كلمةُ (حتف) في المعجم بمعنى الهلاكِ، والموتِ عمومًا دون ربطه بسبب معين، وبدون ربطه بسياق الكلام، والأمر كذلك مع كلمة (أنفه)، ومن ثم فإن هناك اختلافًا كبيرًا بين المعنى المتوارد والمعنى المعجمي، أي أن ألفاظ المعنى المتوارد تشكلُ كتلةً واحدة لا تتجزأ، كما أن دلالتَه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تؤديَها مفردةٌ دونَ أخرى[148].

2- اللفظ المحوري والمتوارد للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

توارد اللفظ المحوري (حتف) مع اللفظ المتوارد (أنفه)، تواردًا منتظمًا، فهما من الألفاظ المتواردة التي اصطلح عليها أبناء اللغة، فشاعت في أوساطهم قديمًا وحديثًا، ولقوة التلازم بين اللفظين، فقد لازم اللفظُ المحوري (حتف) اللفظَ المتوارد (انفه)؛ لأنهما من الألفاظ المألوفة والمعهودة في أوساط المجتمع الجاهلي، وبذلك فإن درجة التوارد بين اللفظين تزدادُ قوةً وضعفًا تبعًا لنوع التوارد بينهما، فإن كان من التوارد الحر فتقل معه درجةُ التوارد، وإن كان من التوارد المنتظم فتزداد معه درجةُ التوارد بين اللفظين؛ الأمر الذي يدل على أن التوارد بين اللفظين المحوري والمتوارد يزداد قوةً وضعفًا، باعتبار نوعه[149].

3- نوع التوارد اللفظي للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

إن التوارد الذي وظفه الشاعر (حتف أنفه) هو التوارد المنتظم والمتوقع الذي يقلص من الخيارات المطروحة أمام المتلقي؛ إذ لا يمكنه أن يستبدل بين كلماته، بمعنى أن كل لفظ من اللفظين (حتف أنفه) لا يستطيع أن يستقل بذاته، أو أن يُستبدلَ به غيرُهُ، فكل لفظ منهما يطلب الآخر الى جواره، ولا يستطيع أن يستغني عنه؛ لذلك فهما لفظان متواردان ومتواتران لا ينفكان عن بعضهما، مما عزز من قوة الترابط والتماسك بين هذين اللفظين العلاقةُ الأُفقيةُ القائمة بين اللفظين المتواردين المتمثلين باللفظ المحوري (حتف) واللفظ المتوارد (أنفه)؛ الأمرُ الذي يجعل ذهنَ المتلقي يستحضر اللفظ المتوارد (أنفه) كلما سمعَ اللفظَ المحوري[150].

(147) ينظر: المصاحبة اللفظية في العربية المعاصرة وأثرها في تغير الدلالة: محمد بن نافع العنزي، ص51.

(148) ينظر: منزلة المتلازمات اللفظية في تعليم اللغة الثانية: إبراهيم الدبيان، ص14.

(149) ينظر: المصاحبة اللفظية في شعر شوقي: فريد عوض، ص576.

(150) ينظر: المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ مقاربة في ضوء لسانيات النص: مفلاح بن عبدالله، ص٢٧٨.

وإن التوارد بين اللفظين (حتف أنفه) من التوارد المستمر والدائم؛ لأنه تواردٌ مستعملٌ على مر العصور قديمًا وحديثًا، فهو ما يزال حيًا متداولًا بين أبناء اللغة حتى اليوم، كما لا يزال عالقًا في الذاكرة العربية يستخدمه أبناء اللغة، ويتداولونه فيما بينهم، ومن ثم فإنه من المتواردات الشعرية الجاهلية التي ما زالت مستعملةً في العربية عبر مراحلها التاريخية المختلفة، و حتى اليوم(151).

4- العلاقات الدلالية للفظين المتضايفين (حتف أنفه):

أما عن العلاقة الدلالية المسوغة في توارد اللفظين (حتف أنفه)، فهي علاقة التلازم الذكري التي أسهمت في الربط بين اللفظ المحوري (حتف) واللفظ المتوارد (أنفه)، وعملت على ملاءمة اللفظين وتواردهما بعضهما ببعض، باعتبار أن هذين اللفظين يشكلان وحدةً دلالية واحدة؛ لهذا فإن علاقة التلازم هي التي سوغت الجمعَ بين اللفظين؛ لما بينهما من مناسبة قوية أدت إلى تلازمهما، وهو تلازمٌ قوي يبعث على توقع التوارد بين اللفظين؛ إذ إنه متى سمع ذهنُ المتلقي الكلمة المحورية (حتف) يتبادر الى ذهنه مباشرة اللفظُ المتوارد (أنفه)، بالإضافة الى العلاقة المكانية الرابطة بين اللفظين، التي أسهمت بدورها في توارد اللفظين، وسوغت في الجمع بينهما، باعتبار أن جملة: مات حتف أنفه، بمعنى: مات في مكانه الذي يتواجد فيه، بينما أسهمت العلاقة الاتصالية في ترابط اللفظين واتصالهما، باعتبار أن المضاف (حتف) مما يتصل بالمضاف إليه، وبذلك أحدث المضافُ اتصالًا أسهم في تخصيص الحدث بالمضاف إليه، ومن ثم فإن العلاقاتِ الدلالية بين اللفظين قد أسهمت إسهامًا مباشرًا في تحقيق التماسك اللفظي والانسجامِ الدلالي بينهما(152).

5- البيئة ودورها في توارد اللفظين المتضايفين (حتف أنفه):

يفتخر الإنسان العربي بشجاعة قومه، وهي غريزة فيه، فالعرب كانوا يتمادحون بالموت قطعًا بالسيوف، ويتهاجون بالموت على الفراش، فيقولون: فلان مات حتف أنفه، أي: مات على فراشه، فهذه عندهم علامةُ ذلٍ واستسلام، أما إذا مات قتلًا بالسيف والرمح... وغيره، كانت هذه دلالةً على المدح والثناء، حتى أن بعض العرب لما بلغَهُ موتُ أخيه قتلًا قال: إنا والله لا نموت حتفًا ولكن قطعًا بأطراف الرماح، وتحت ظلال السيوف، فكانت البيئة الجاهلية مهيأةً للحروب وشن الغارات بين القبائل لأسباب كثيرة منها قساوة المعيشة والفقر المدقع، ومنها النزاع بين تلك القبائل على مساقط المياه والعيون والمرعى، بالإضافة إلى الثأر الذي كان فاشيًا في أوساط المجتمع الجاهلي، كلُ ذلك أنعكس على الشاعر في اختيار ألفاظه، فكان يختار الألفاظ المتصلة بالبيئة المحيطة به، والمرتبطةِ ارتباطًا مباشرًا بالبيئة الجاهلية، فكان لها الأثرُ الكبيرُ في تشكيلِ الكثيرِ من الكلمات المتواردة التي تنتمي

(151) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي: محمد العبد، ص77.

(152) ينظر: المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص: نوال الحلوة، ص91.وينظر: أهمية العلاقات الدلالية في تحقيق تماسك النص الشعري العربي المعاصر: نعيمة عيوش، بو علام العربي، ص41.

إلى العصر الجاهلي[153]. وسنقف على تحليل هذا التوارِد بالشكل الآتي:

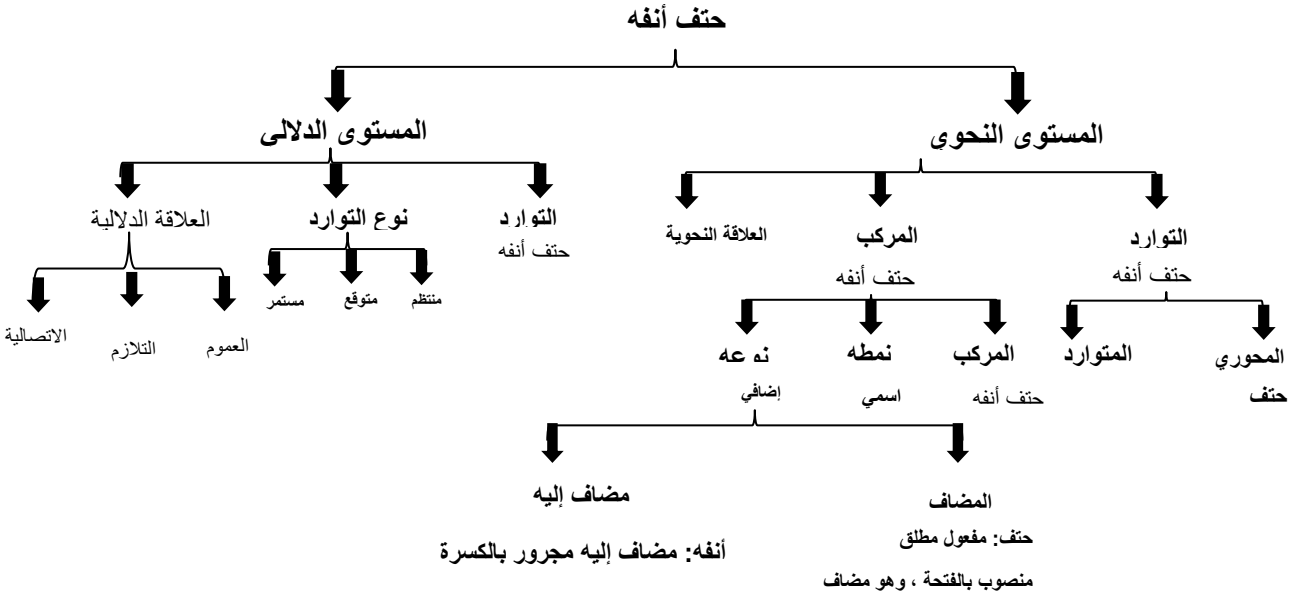

نتائج البحث:

من خلال البحث توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1. التوارد اللفظي يعد مرآة عاكسة للشعر الجاهلي على لسان شعرائه، وهو ورود متوقع ومعتاد للكلمة مع ما يناسبها من الكلمات الأخرى، فهو من الدراسات اللسانية الحديثة التي لم يتنبه لها اللغويون القدماء، وإن تناولوه فبمسميات أخرى.
2. أن العلاقة بين المضاف والمضاف إليه قوية جدًا؛ لذلك جعلوهما كالشيء الواحد، بوصفهما وحدة دلالية واحدة.
3. تنوعت العلاقات الرابطة بين الألفاظ المتواردة على مستوى البيت الشعري؛ فأسهمت في ارتباطها وتماسكها.
4. تسهم العلاقات الدلالية في تنوع المعنى.
5. يعد التوارد نوعًا من أنواع التضام الذي له دور فاعل في اتساق الألفاظ المتواردة واقترانها بعضها ببعض.
6. اللفظ المحوري هو اللفظ الأساسي الذي يبنى عليه التوارد، كما أن اللفظ المتوارد هو تلك الألفاظ التي يمكن أن تتوارد مع اللفظ المحوري.
7. يؤكد التوارد اللفظي أن دلالة التركيب لا تتوقف عند حدود المعنى المعجمي، بل تتعداه إلى المعنى الدلالي المتصل بسياق الكلام

(153) ينظر: المصاحبات اللغوية في صحيح البخاري دراسة وصفية دلالية: ساجدة إبراهيم، ص44.

وروده في تركيب ما، حينئذ يتحصل المعنى الدلالي.

8. للبيئة أثرها الفعال في تكوين قطاعات كبيرة من الألفاظ المتواردة التي تنعكس على الشاعر عند اختياره لألفاظه من بيئته المحيطة به.
9. يُعدُ الكثير من التوارد اللفظي في النماذج المختارة من الشعر الجاهلي من التوارد المنتظم والمتوقع.
10. أن العلاقة بين المتضايفين قوية جدًا حتى أن التوارد بين المضاف والمضاف إليه خالص من تقدير الانفصال.

التوصيات:

يوصي الباحث من خلال دراسته للتوارد اللفظي بين المضاف والمضاف إليه بما يأتي:

1. دراسة التوارد اللفظي في المركبات النحوية الأخرى، كالمركب العطفي، والمركب الوصفي.
2. ضرورة الاتجاه إلى عمل معاجم لغوية متخصصة بالمتواردات اللفظية ليستفيد منها العاملون في مجال البحث والترجمة.
3. يجب على الدارسين الاتجاه نحو ظاهرة التوارد اللفظي؛ لأنها من الدراسات الغامضة التي مازالت بحاجة إلى مزيد من التنقيب لكشف ذلك الغموض.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] ابن كلثوم، عمرو بن كلثوم. (1996). ديوان عمرو بن كلثوم، بيروت: دار الكتاب العربي.

[2] ابن منظور، صالح. (١٨٨٢). لسان العرب، القاهرة: دار المعارف.

[3] أبو سنينة، علي عبد العزيز. (2012). الغراب في الشعر الجاهلي، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.

[4] الثعالبي، أبو منصور. (٢٠٠٣). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

[5] الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1956). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت: دار العلم للملايين.

[6] حسان، تمام. (1998). اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: عالم الكتب.

[7] داود، محمد محمد. (2003). معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

[8] الدرة، محمد علي. (١٩٨٩). فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، جدة: مكتبة السوادي للتوزيع.

[9] الذبياني، النابغة. (2005). ديوان النابغة الذبياني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

[10] رزق، صلاح. (١٩٨٩). شعر المعلقات في ضوء الدراسة التحليلية، مصر: مدار الثقافة العربية.

[11] الزبيدي، محمد مرتضى. (1993). تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت: التراث العربي.

[12] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. أساس البلاغة

[13] السرحان، عبد الرحمن قبلان. (2010). دور العلاقات الدلالية المعنوية للمفردات في بناء القواعد النحوية: جامعة آل البيت.

[14] سُلمى، زهير بن أبي سلمى. (2005). ديوان زهير بن أبي سلمى، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

[15]سليم، سناء أحمد. (2004). توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت، نابلس: جامعة النجاح.

[16] الشايع، ندى عبد الرحمن. (١٩٩٣). معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر، بيروت: مكتبة لبنان.

[17] الشريف، محمد بن حسن. (1999). معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة، جدة: دار الأندلس للنشر.

[18] عبد الفتاح، عصام. (٢٠١٠). الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهلية، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع.

[19] العبد، محمد. (٢٠١٣). إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

[20] العبسي، عنترة بن شداد. (2004). ديوان عنترة بن شداد، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

[21] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد والسموأل، بيروت: دار صادر.

[22] العسيري، فيصل. التوارد والاقتران بين المفردات دراسة أسلوبية في شعر المتنبي، الرياض: مجلة الدراسات الإسلامية.

[23] عمر، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب.

[24] عياض، سليمة. (٢٠١٠). العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب رياض الصالحين، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح.

[25] الفحل، علقمة بن عبدة الفحل. (1935). ديوان علقمة الفحل، القاهرة: المكتبة المحمودية بالقاهرة.

[26] مجمع اللغة العربية. (١٩٨٠). المعجم الوجيز، القاهرة: مجمع اللغة العربية.

[27] مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

[28] مسعود، جبران. (1992). الرائد معجم لغوي عصري، بيروت: دار العلم للملايين.

[29]مفلاح بن عبد الله. (٢٠١٧). المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد الجاحظ، الجزائر: مجلة: لغة –كلام.

[30] منيفي، حامد علي. (٢٠٠٤). الإضافة في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية، عمَّان: جامعة اليرموك.